بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب المجلة
محمد محمود علوان
شيخ مشايخ الطرق الصوفية

رئيس التحرير
محمد صبيح

سكرتير التحرير
طه عبد الباقي سرور

مجلة الإسلام والتصوف

مجلة أسبوعية تصدر شهرية مؤقتا
تصدر عن مشيخة الطرق الصوفية

"ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون"

الاشتراك
٦٠
في الجمهورية العربية المتحدة
٥
ثمن العدد
المراسلات
مشيخة الطرق الصوفية
بميدان سيدنا الحسين
القاهرة
تليفون ٥١٢٩٣

العدد السابع ، السنة الثالثة ، ١٠ من جمادى الثانى عام ١٣٨٠ هـ ١ ديسمبر ١٩٦٠ م

القرآن ووجوب العناية به

فى مدارسنا وحياتنا

للعلامة الأستاذ السيد محمد محمود حجازى

من أكرم القرارات وأنبلها ، التى ابتهجت بها قلوب الملايين من أبناء العروبة والإسلام ، ذلك القرار الجليل الهادف الذى أصدره السيد الدكتور محمد متولى محافظ المنوفية ، بإلزام التلاميذ فى مدارس المحافظة بحفظ القرآن الكريم ، كمادة أساسية تربوية ، وأن يتدرج التلميذ فى حفظه للقرآن من بداية المرحلة الأولى التعليمية حتى إذا وصل الى نهاية المرحلة الثانوية يكون قد أتم حفظه لكتاب الله .

وجاءت فى ديباجة هذا القرار العظيم ، كلمات فاقهة مضيئة ، فقد ذكر السيد المحافظ أن كتاب الله . هو عقيدتنا ، وهو مثلنا الأعلى ، ومن آياته الكريمة نستمد

مثلنا وآدابنا ومناهجنا الإيمانية والخلقية ، وأن شبابنا ليجد فى آيات الله ما يعصمه ويقومه ، ويحميه ويصونه ، من التيارات والإنحرافات الفكرية والاجتماعية .

واستجابت السلطات الحاكمة لروح هذا القرار الهادف ، فقد وافق السيد كمال الدين حسين وزير الحكم المحلى عليه وأمر بتنفيذه فوراً ، وأسرع السيد أحمد عبد الله طعيمه وزير الأوقاف ، فأمر بأن تقوم الوزارة بطبع ١٦٠ ألفاً من جزء « عم » لتزود بها مدارس محافظة المنوفية فى خلال أيام معدودات .

وتلك بوادر طيبة تدل على أن نظام الحكم المحلى قد بدأ يؤتى أكله ، ويثمر ثمرات مباركة .

وعلى المؤمنين جميعا ، على المؤمنين بربهم وبوطنهم وبقوميتهم العربية ورسالتها أن يقفوا بجوار هذا القرار الصانع للتاريخ ، الموجه للحياة ، وأن يطالبوا به فى جميع محافظاتنا ، فإننا فى دورنا الصاعد أحوج ما نكون إلى قرارات بناءة موجهة تستهدف إصلاحا جذريا لحياتنا ، وتقدم مقومات إيجابية نستمد منها طابعنا ، ونبنى بها شخصيتنا .

والعروبة التى ننادى بها ليست حركة جنس أو لون إنما حركة بعث لأمة كبرى تحتل أخطر منطقة فى الكوكب الأرضى ، وتمثل أرضها قلب العالم النابض ، وتمثل فوق هذا كله ، أنها أرض النبوات والرسالات ، أرض الإشعاع الروحى الذى تهفو إليه الإنسانية ، وتتزود منه بيقينها وإيمانها .

إنها حركة مبادىء تستند إلى مواريث خالدة ، وتصور لونا من الحضارة المؤمنة وتقدم منهجا لأمن الإنسانية وسعادتها وأخوة الانسان وتعاونه مع أبناء البشرية كافة .

ومثل هذه الحركة ذات المبادىء الملهمة العالية فى حاجة إلى جيل واع مستنير مؤمن له عزمات صاعدة ، وله مثل صانعة ، وله أفق أعلى ينشده ويرنو إليه ، ويقدمه نموذجاً صالحا شامخا بين النماذج العالمية التى تتبناها الشعوب . وتتفاضل بها أنظمة الحكم الدولية .

وكتاب الله الكريم هو وحده الذى بنى وأنشأ الأمة العربية الاسلامية العالمية وجعل منها خير امة أخرجت للناس .

وهو وحده الذى يملك أن يجعل منا كما جعل من آبائنا القوة الأولى فى الدنيا .

إنه كتاب يمتد نوره إلى القلوب فيحييها ، وإلى العقول فيضيؤها ، وإلى الروح فيطهرها ويزكيها .

كتاب يصنع أخلاق النبيين ، وعزمات المكافحين ، وبطولات المجاهدين .

كتاب يصعد بالإنسان إلى الله ، ثم يصعد به إلى قمة الحياة ، ثم يجعل منه قوة روحية إيجابية حرة ، لا تذل ولا تستعبد ، ولا تضعف . ولا تتراجع .

ثم هو بعد ذلك وحده القادر على صياغة الانسان الكامل خلقا وأدبا وسلوكا ، الانسان الرحيم العادل المحب للإنسانية ، الصانع للحضارة وللسلام وللتعاون العالمى .

وعلى السادة المربين الذين يشرفون على تربية أبنائنا وتحفيظهم لكتاب ربنا واجبات مقدسة . فليس الهدف حفظ القرآن فحسب ، بل الهدف مع حفظة الفقه به ، والتذوق له والتخلق بآدابه ، والاعتصام بهديه ، والسير على نوره .

وفى القرآن الكريم آيات تتعلق بالأسرة السعيدة وبنظامها ، وما يربط بين أبنائها من حب وإجلال ، وآيات تتصل بنظم المجتمع المتعاون المتساند الذى يسوده الاخاء والمودة والتكافل .

وآيات تتحدث عن التربية والسلوك والآداب والأخلاق ، وآيات تتحدث عن العدالة والشورى وحقوق الأفراد وواجباتهم ، وآيات ترشد إلى السنن الكونية ، والمبادىء الانسانية ، وآيات تحض على العلم والمعرفة ، وتنادى بإعداد القوى الحربية والفنية ، وبناء القوى النفسية والعقلية ، وآيات وآيات تشمل كل شىء فى الوجود الانسانى ، الوجود الايمانى الربانى ، الذى جعل من الانسان قمة هذا الوجود وسيده ، ما دام متصلا بالله ، يراه ويشاهده ويراقبه ، فى معاملاته واتصالاته ، ونشاطه ، وما يزاول من حياة فسيحة متعددة .

على السادة المربين أن يوجهوا نظر تلاميذهم إلى الأنوار المتلألئة فى هذه الآيات وإلى الأبنية الخالدة التى تشتمل عليها ، وإلى الصراط المستقيم الذى تدعو إليه .

وأن يعلموا تلاميذهم أن كتاب الله ، كتاب هداية ربانية . وحياة إنسانية إيجابية مثالية . ليس الهدف منه أن نتبرك به ونرتل بجلا بأصواتنا فحسب ، بل الهدف أن نجعله إماما وحجة ومنهجا ، وأن نطبقه عقيدة وسلوكا ، وقولا وعملا .

وإذا كانت حكومتنا قد بدأت هـذه الخطوة المباركة فى بعض مدارسنا فإننا لعلى أمل كبير أن يعم حفظ القرآن وفهمه فى كافة مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا.

بل إننا لنأمل فى أمل أكبر، أن نعود بحياتنا جميعاً إلى كتاب الله نتصل به ونتدارسه ونتفقهه وندعوه إلى قيادتنا، وإلى حياتنا، حتى نعود إلى رسالتنا ومكانتنا العالمية، كأمة تخرج الانسانية من الظلمات إلى النور، وتقود خطو البشرية إلى العلم والايمان والسعادة، إلى خير حياة يحبها الله ويباركها ويرضى عنها.

والله يهدى إلى الخير، وهو ولى التوفيق ؟

برقية رجال الطرق

إلى السيد رئيس الجمهورية

السيد كبير الأمناء — القصر الجمهورى القاهرة

من ساحة المولد الأحمدى بطنطا. حيث يجتمع عشرات الألوف من أبناء الطرق الصوفية محتفلين بمولد السيد أحمد البدوى. أرجو أن ترفعوا باسمى وباسم ابناء الطرق جميعاً أصدق آيات الولاء والتأييد لرجل السلام بطل العروبة الرئيس جمال عبد الناصر لانتدابه السيد عمر زعفان محافظ الغربية لحضور الليلة الختامية

ضارعين إلى الله أن يكلأه بعنايته ويمن عليه بنصره حتى يحقق وحدة العروبة وسلامة الإنسانية.

محمد علوان

شيخ مشايخ الطرق الصوفية

حول رسالة مجلة الإسلام والتصوف :

مكانة التصوف وأثره
فى تطورات الحياة الإسلامية

— ٢ —

بقلم الأستاذ
طه عبد الباقى سرور

قلنا فى مقالنا السابق أن الفهم الجذرى . لرسالة التصوف الإسلامى . يتطور اليوم وتتسع آفاقه . وتمتد مناهجه الإيمانية والتربوية والإجتماعية ، إلى عمق أبعد من مدلوله العام لدى الذين قبعوا داخل حرفيات وشكليات جدلية ، لبعض صور التصوف فى عصور الرجعية .

ومن هنا نصبح أحوج ما نكون إلى تحديد معنى التصوف ، وما تشتمل عليه رسالته ، وما يستهدفه منهجه ، وفوق هذا كله ، موقفه من الحضارة وصلته بها ، وأثره الإيجابى فى تطورات الحياة الإسلامية ومثلها وانطباعاتها .

ورسالتنا فى مجلة « الإسلام والتصوف » التى تقود هذه الحركة الصوفية المتطورة ، هى تحطيم الأسوار المصطنعة التى أقامتها عصور الضعف والتخلف والرجعية حول التصوف لتعزله عن واقع الحياة ، ولتحول بينه وبين رسالته الكبرى التى صنعت كل القوى الروحية التى كانت رمزا وشعاراً لخير أمة أخرجت للناس .

والتى صاغت القوى المادية الإسلامية ، يوم كان الإسلام وحده الذى يكتب التاريخ ، ويرسم أهداف الحياة .

ورسالتنا بعد تحطيم هذه الأسوار الضيقة المصطنعة هى تجلية المنهج الصوفى ، كمنهج شامل لكل نشاط حيوى فى الحياة ، تجليته كمنهج يحتضن القوى الروحية ويعمقها ويزكيها ، ويفتح آفاقها ويطلقها طاهرة مشرقة ، تجعل من الإنسان ضميراً حيا ؛ وقلبا زكياً ، وروحا عابدا ، وعزما صانعاً ، وخلقاً ربانياً مثالياً ، يمشى على صراط مستقيم

يبشر بكلمات الله المضيئة ، ويعلم الإنسانية أن الحياة ، إخاء وتعاون وتكافل وسلام ورحمة ومحبة تتسع آفاقها حتى تشمل الكون بكل ما فيه من صور وحياة وانطباعات .

وتجليته كمنهج على عملى إيجابى ، رسالته أنه يتطور بالحياة إلى الكمال الذى هو سر الخلق وغايته ، كمال الإنسان الذى باهى به الله ملائكته ، وتلقى من ربه كلمات المعرفة والحكمة ، وعلمه الأسماء كلها ، وسخر له مافى السموات والأرض .

الكمال الذى شرطه أن يتفكر فى ملكوت السموات والأرض وأن يرى آيات الله فى الآفاق وفى نفسه ، حتى يتبين له أنه الحق .

الكمال الذى قاعدته أن يحيط علماً بأسرار الطاقات الكونية كافة ، وأن يسخر الطاقات لرفاهيته وسعادته وقوته .

فكل عمل عبادة ، وكل معرفة طاعة ، وبذلك يصبح العمل واجبا مقدسا لأنه طريق الإنسان إلى التطور وإلى القوة وإلى إبراز القوى المودعة فى كل ذرة من ذرات الكوكب الأرضى .

وبذلك يمشى التفوق العلمى جنباً إلى جنب ، مع التفوق الروحى ، وبهذا التكامل والتوازن بين القوتين ، يوجد الإنسان المثالى ، الذى يحكمه قانون خلقى ، وتسيره قوى إيمانية ، وتسدد خطواته الحضارية ، عقيدة ربانية لاتعرف البغى ولا العدوان ولا تجنح إلى الشهوات والأهواء ، ولا تميل إلى تطرف أو انحراف .

وبهذا التوازن يرتفع الإنسان بعبوديته المطلقة لله ، إلى أفق الحرية المطلقة فى الحياة .

فعبد الله لا يستعبد لغير الله ، ولا يذل لسواه ، ولا يملك مصيره وقدره إلا رب الوجود وسيده .

إنه لعبد قد تحرر ضميرا ووجدانا وشعورا وإرادة وخلقا ، فلا تسترقه قوة ، ولا تستعبده نزوة ، إنه لفوق الأهواء والشهوات ، وفوق الإغراء والنزوات ، إنه الإنسان الذى اصطنعه الله لنفسه ، وأراده لخلافته ، وأرسل الرسل لهدايته .

إنه الإنسان الذى تحققت فيه الرسالات السماوية ، وبرزت فيه الأخلاق الربانية ، وأصبح على بصيرة واعية ، وطريق مضىء .

هذا الإنسان الكامل هو هدف التصوف الإسلامى ، وهذه الإنسانية الظاهرة الصاعدة هى رسالة المنهج الصوفى .

وإذا قلنا المنهج الصوفى ، فإننا نقصد أو نعبر عن المنهج القرآنى ، فالتصوف هو ذروة الكمال فى كل كلية أو جزئية ، جاءت بها التعاليم الإسلامية .. هو الخط الأعلى فى أفق العقيدة الربانية ، هو الأخذ بالعزائم فى كل سنة وفريضة وفى كل دقيقة ورقيقة .

هو مقام الإحسان فى المنهج الإسلامى ، مقام الذى يعيش فى إحساس حى ملهم مبصر ، إحساس من يرى الله فى كل شىء فى الوجود ، وفى كل عمل فى الحياة ، وفى كل خاطره من خواطر النفس والفكر .

إحساس حى ملهم مبصر ، يشمل كل القوى الظاهرة والباطنة وينيرها ويوجهها إلى الله .

إحساس حى ملهم مبصر لا يمكن أن يصاحبه ظاهر الإثم أو باطنه ، جلى الشرك أو خفيه ، لأنه يرى الله ، ومن يرى الله يعيش فى جوه ، وفى كلماته ، وفى نوره وفى رعايته ، بل يعيش مستمدا من الله قوته وتأييده وتوفيقه . وما لا تستطيع الكلمات أن تعبر ، ومالا يستطيع الفكر أن يصور ، وإنما حسب الإنسان أن يسبح فى هذا الأفق ، وأن يتصور قداسته وطهارته وعظمته وما يمكن أن يصل إليه ويظفر به .

والقرآن الكريم كرسالة هداية للعالمين اتسعت تعاليمه للناس جميعا ، كما اتسعت آفاقه للعزمات كافة ، على اختلاف طاقاتها وقواها .

ومن ثم جاءت هذه التعاليم لتجعل من الإيمان درجات ومقامات ، درجة فوق درجة ، ومقام فوق مقام .

المسلمون ، والمؤمنون ، والعابدون ، والقانتون ، والمسبحون ، والمتقون ، والمجاهدون ، والمحسنون ، والصديقون ، صفات لمقامات ، وتصوير لطبقات أهل القرآن فى سيرهم فى الطريق الصاعد إلى الله ، وفى الطريق المتطور إلى الكمال الإنسانى.

والتصوف هو السير فى هذا الطريق المضىء الطويل حتى يصل إلى ذروة كماله ، فيصبح صوفياً ربانيا .

والطريق الصوفى هو فى أساسه خطه منهجية فى حياة الروح والعبادة ، وخطه منهجية فى حياة العلم والعمل .

خطة شاملة يحتشد فيها الفكر والشعور ، والقلب والحس ، والظاهر والباطن ، لتعمل هذه القوى متكاتفة . فى طاقة حيوية هادفة ، تمدها شحنة إيمانية منطلقة متفتحة تبنى كل شىء فى بنية الإنسان الكامل ، كما تبنى كل شىء فى بنية الحضارة المتطورة .

فالصوفية هم طليعة الفكرة الإسلامية ، وأهل العزيمة والقوة فيها ، وهم قوم دربوا طاقاتهم الروحية وصقلوها حتى بلغت كمالها ، ثم إتجهوا إلى الله بهذه القوة العليا يتعرفون عليه سبحانه ، ويتصلون به ، ويستمدون منه ، ويهتدون بهديه ، ثم أنطلقوا إلى الحياة أقوياء أعزة ، يبشرون بالخير ، ويحمون الحق ، ويقيمون موازين العدل ، ويخرجون الناس من الظلمات إلى النور ، ولم تغفل عقولهم عن التفكير والابتكار والتجديد ، ولم تقف أيديهم عن بناء صروح العزة والقوة ، ولم تنفصل مشاعرهم فنون الحضارة وألوانها

ولسائل ان يسأل : كيف تخصص المنهج الصوفى فى أفق الحياة الإسلامية وتميز بهذه الخصائص ، وبتلك الرسالة ، بل لقد أصبح هذا السؤال من الأسئلة الحائرة الطائرة فى أفق الجدل الذى يدور حواره حول التصوف والصوفية

والجواب مع هذا واضح مبين ، لقد كانت المعانى الصوفية متلألئة مضيئة فى آيات القرآن ولحنه ، وكانت [illegible] فى سيرة الرسول وهديه ، وكانت جلية مبينة فى أعمال الرعيل الأول من بناة الفكرة الإسلامية وأبطالها .

ثم حدث الانفصال التاريخى ، بين المجتمع الإسلامى ، والهدى القرآنى ، والسنة النبوية ، وإنحلت وحدة الفكر الإسلامى الموجه الهادف ، وتمزقت الهالات الروحية الملهمة ، التى كان سرادقها المنير يضم بين جنباته المسلمين كافة .

وبزغت مذاهب ، ونجمت دعوات ، وفتحت الدنيا أبوابها للمسلمين الفاتحين الظافرين ومشى الترف والبذخ واللهو إلى حياتهم ، وظهرت ارستقراطية مادية متكبرة ، وحكومات استبدادية جائحة

فتنادى المؤمنون بالمثاليات الإسلامية بالجهاد ، وقاموا لله بكلماته ، ووقفوا فى وجه هذا التحلل والتحول المنحدر ، مبشرين ومنذرين ، وداعين إلى الله ، وشيئاً فشيئاً أصبح هؤلاء الدعاة الأتقياء مدرسة ربانية ، وأصبح لهذه المدرسة إسماً اصطلاحيا ، عرفوا به تاريخيا ، أو كما يقول العلامة ابن خلدون : « اختص المقبلون بأنفاسهم على الله باسم الصوفية » .

وكان التصوف فى هذا الدور : فى خلال الأيام الأولى للخلافة الأموية ، كان ثورة حية أبية على الارستقراطية الحاكمة ، والرأسمالية المترفة ، ودعوة عالية هادفة للعودة

إلى روح القرآن ونوره وحكمه ، وهدى الرسول وخلقه وأدبه ، وكان لهذا الدور رجاله ومنهجه .

ثم كان الدور الثانى للتصوف فى فجر الخلافة العباسية ، وكانت رسالته فى هذا الدور ، رسم المنهج العلمى لوحدة الفكر الإسلامى الذى أخذ فى التحلل والسبح وراء قضايا غامضة منفصلة عن خطو الحياة ونشاطها وتطورها .

كان التصوف فى هذا الدور أيضاً ثورة على علم الكلام الذى أسرف وجمح وانحرف ، وأغرق نفسه فى فلسفة جدليه تدور حول الذات والصفات وشرائط الإيمان والقضاء والقدر وما إلى القضاء والقدر .

وثورة على الفقهاء الذين مزقوا وحـــدة الفكر الإيمانى ، وتمردوا على بساطة الإسلام وفطرته ، فأحالوا الفقه إلى جدليات وتفريعات واستنباطات ، مغرقة فى الخيال مسرفة فى الجموح .

وأغرقوا مراكبهم فى خصومات مذهبية حادة ، وصلت إلى حد القتل والاغتيال .

لقد تحول الفقه عن رسالته الحية النامية المتطورة ، فبدلا من أن يتحدث عن حق الفرد وواجبات الحاكم ، وحرية الإنسان ، ونظام الشورى ، والعدالة الاجتماعية ، والتكافل الاقتصادى واتجه إلى إرضاء القوى الحاكمة ، فترك الجانب العملى الحى من الوجود الإنسانى ، إلى الجانب المتزمت الخيالى ، الذى لا يعيش معنا على كوكبنا .

وثورة على الاسرائيليات التى مشت إلى الأحاديث النبوية تصنع لها وتدس عليها بدعا من القول ، وزوراً من التفكير .

كما مشت إلى تفسير القرآن ، تلوى به عن هدفه وتنحرف به عن هديه ، وتدخل به فى تيه رهيب ، من سفسطة لفظية لا تثبت إفهاماً ، ولا تشبع نورا .

وإذن فقد كان التصوف فى كل دور من أدواره عملا ايجابياً لحماية العالم الإسلامى والابقاء على مثله مضيئة حية ملهمة ، واستطاع التصوف وحده أن يصمد فى وجه كافة التيارات المتحركة الهابطة ، وأن يحفظ للفكر الإسلامى وحدته وفاعليته وللخلق الإسلامى طهارته وإيجابيته .

ثم مشى الوهن إلى الأمة الإسلاميه ، وأخذت مصابيحها تنطفىء مصباحاً فمصباحا ، وأخذت حركة الحياة فيها تجمد ، وحرارتها تخمد ، وطغت عليها رجعية جاهلية ، وبغى على أرضها وتفكيرها استعمار صليبى أسود وحقود .

ودخل العالم الاسلامى فى التيه الطويل ، التصوف وب أصاما أصاب الاسلام ، ودخلت فى التصوف أمم من الناس من كل لون ونحلة .

وابتدأ بعض الدخلاء يفلسف التصوف وينحرف به ويضيف إلى معارفه الوانا من الفلسفة اليونانية الاستشراقية .

وابتدأ بعض الدخلاء يهبط بالتصوف إلى العامية والجمود ويملأ آفاقه بعادات وطقوس فى السلوك خنقت روحه واطفأت مصابيحه.

وابتدأت الكلمات الصوفية الحية ، التى صنعت القوة وألهمت العزيمة ، وربت رجالا وهداة ، تفقد بريقها ، ويتغير لونها ومعناها فى أفواه أقوام انتسبوا إلى التصوف زورا ، واصطنعوه مسابحا وأثوابا ، ورقصا وصياحا ، وظنوه زهدا وعزلة وضعفا ودروشة ساذجة .

ورسالتنا اليوم أن نخرج التصوف من التيه التاريخى المظلم الذى اندفع إليه ، أو دفع به إليه .

وذلك موضوع كلمتنا القادمة إن شاء الله ؟

صفحات ونفحات

من مذهب ذى النون التصوفى

بقلم
الدكتور محمد مصطفى حلمى

أستاذ الفلسفة الإسلامية والتصوف بكلية الآداب جامعة القاهرة

لا يقف ذو النون عند تصنيف المقامات والأحوال وتحليلها على الوجه الذى قدمنا فحسب وإنما هو يتجاوزه إلى شىء آخر لعله أدق من هذا وأعمق . ذلك بأنه يتحدث عن الحال حديثاً هو أدنى ما يكون إلى فلسفته ، فيظهرنا على ما بين الحال والجبر من صلة : فعنده أنه لا يكون للإنسان من الأحوال إلا ما يريده الله له ، وليس الإنسان فى حاجة إلى أن يعلم ما هو هذا الذى اختاره الله له ، إذ كان الله قد علم ما هو كائن ، وهو المكون الأشياء ، وهو الذى يختاره للانسان .

ويتصل السماع بالنفس الإنسانية ، وله فيها عند ذى النون أثر بما تثيره العظة الحسنة والنغمة الطيبة من المعانى التى تؤدى بمن يستشعرونها إلى النعيم الدائم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر . وهذا يعنى بعبارة أخرى من عبارات ذى النون نفسه أن السماع هو « ورد الحق الذى يهيج القلب حتى يجد الله ، وأن الذين ينصتون إليه بالحق يتحققون ، والذين ينصتون إليه بالنفس يتزندقون . وعلى ما يذهب إليه ذو النون فى السماع عند عامة المريدين يرى بالإبانة عما يعنيه هذا الصوفى من أن من يتبع الحق فى هذا السماع يحصل له الكشف ، على حين أن من يتبع نفسه أو هواه يقع له الحجاب ويعمد إلى التأويل .

ولما كانت العبادات عنصرا هاما من العناصر التى يتألف منها سلوك العبد فى طريقه إلى الله ، وكان الحج فريضة من فرائض الإسلام التى ينبغى أن يأخذ بها الإنسان نفسه ، وكان لهذه الفريضة ولغيرها من الفرائض الأخرى أثرها فى رياضة النفس ومجاهدة الحس وتصفية القلب ، فقد تأول ذو النون مناسك الحج تأويلا يكشف عن معانيها الخفية وآثارها الروحية فى حياة الذين يؤدون هذه المناسك سواء فى علاقتهم بربهم أو بأنفسهم أو بأشباههم : فذو النون يتأول ويعلل الوقوف بالجبل لا بالكعبة بأن ذلك إنما كان لأن الكعبة بيت الله والجبل باب الله ، وإن الله ليوقف القاصدين إليه والوافدين عليه بالباب يتضرعون . ويتأول ويعلل الوقوف بالمشعر الحرام وكيف صار بالحرم ، وذلك بان الله لما أذن للوافدين عليه بالدخول إليه أوقفهم بالحجاب الثانى وهو المزدلفة ، ولما طال تضرعهم أمرهم بتقديم قربانهم ، وكان هذا القربان تطهيراً لهم من ذنوبهم التى كانت لهم حجابا من دون الله ، وأذن الله لهم بالزيارة على طهارة . وأما أن الصوم مكروه أيام التشريق فذلك ما يؤوله ويعلله ذو النون بأنه راجع إلى أن القوم إنما زاروا الله ، وأنهم فى ضيافته ، ولا ينبغى للضيف أن يصوم عند من أضافه . ويتأول ذو النون التعلق بأستار الكعبة فيكشف عن المعنى الذى ينطوى عليه هذا التعلق فيرى أن مثل الرجل وقد تعلق بأستار الكعبة كمثل الرجل وقد كانت بينه وبين أخيه جناية فتعلق بثوبه واستجدى له ، وتضرع إليه ليهب له جرمه وجنايته : فكل أولئك مناسك الحج فيظهرنا من خلالها على تلك المعانى النفسية والأخلاقية السامية التى ينطوى عليها الحج ، وعلى ما ينبغى أن يقر فى نفوس المؤدين لمناسكه من تلك المعانى . وإن ذا النون ليذكرنا هنا بما يصطنعه الإسماعيلية الباطنية من تأويل وتخريج للمعانى الخفية من الألفاظ الظاهرة ، ومن يدرى فلعله كان متأثراً بهم ، وإن كانت تلك مسألة لا تزال فى حاجة إلى دراسة مقارنة على ضوء المعلومات التاريخية والمؤثرات الداخلية والخارجية فى عصر ذى النون وحياته ومذهبه .

ومهما يكن من شىء فإننا واجدون لدى ذى النون كلاما لعله أن يكون أقرب إلى كلام الإسماعيلية الباطنية فيما يذهبون إليه من حديث على النجباء والدعاة والقائمين بالحجة والأئمة المستورين : فكل أولئك ألفاظ اصطلاحية إسماعيلية نجدها فيما تحدث به ذو النون عن هؤلاء الذين خلصت عبادتهم لله من عبادالله وهذا نصه : إن لله خالصة من عباده ، ونجباء من خلقه ، وصفوة من بريته ، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها

فى الملكوت معلقة ، أولئك نجباء الله من عباده ، وأمناء الله فى بلاده ، والدعاة إلى معرفته ، والوسيلة إلى دينه ، هيهات بعدوا وفاتوا ، ووارتهم بطون الأرض وفجاجها على أنه لا تخلو الأرض من قائم فيها بحجته على خلقه لئلا تبطل حجة الله .... أولئك قوم حجبهم الله عن عيون خلقه ، وأخفاهم عن آفات الدنيا وفتنها ... » .

وإذا تركنا هذه الناحية الروحية العامة لمذهب ذى النون الصوفى وما تشتمل عليه من عناصر عملية ، وانتقلنا معه إلى الناحية التيوزوفية الخالصة لهذا المذهب ، ألفينا له نظرية فى المعرفة وأخرى فى المحبة ، وكلتاهما تنطويان على كثير من المعانى الفلسفية التى ظهرت لأول مرة فى تاريخ التصوف الإسلامى عند ذى النون ، وكان ظهورها عنده فى صورة ساذجة بسيطة ، ثم أخذت هذه الصورة تدق وتتضح رويداً رويداً على أيدى من تعاقب بعده من الصوفية بصفة عامة ، حتى تهيأ لها من الدقة والوضوح والتمام أكبر حظ عند الصوفية المتفلسفين ، أو الصوفية الذين وقع التزاوج فى مذاهبهم بين التصوف والفلسفة الإلهية وعلم الكلام من أمثال محيى الدين بن عربى ، وعمر بن الفارض ، ويحيى السهروردى المقتول بصفة خاصة .

(يتبع)

المشرب الصوفى

لجمال الدين الأفغانى

لسيادة الدكتور صلاح الدين المنجوفى

سفير الأفغانستان

شخصية السيد جمال الدين العلمية كانت كالمنظومة الشمسية فى غاية النظام والإتقان وكانت كل مشاعره تدور حول مركز واحد هو الأمور الاجتماعية أو « الأشياء الإنسانية » كما سماها أرسطو .

وكان الهدف والغرض من الأخلاق والسياسة عنده هو « الكمال » بالمعنى الذى كان يفكر فيه الشيخ أبو على ابن مسكويه ومولانا جلال الدين الرومى (البلخى) وبالطريقة التى أشار إليها (هيجل) Hegel وكومت Comte لا بالأصول التى ذهب إليها لامارك Lamark وداروين Darwin وهو عبارة عن الانكشاف الروحى وتصعيد الغرائز ، والتخلق بأخلاق الله .

فالسيد فى تلك الناحية كان صوفياً ، والصوفيون فى هذه المسألة عندهم نوع من التناقض الظاهرى ، لأن الكمال فى بدايته غاية الأخلاق ، والتخلق بأخلاق الله ، معناه أنه لا غاية للأخلاق يعنى «الوظيفة لأجل الوظيفة» Duty for the sake of duty وفى الحقيقة لا تناقض هناك لأن الصوفى لا يريد جزاء ولا شكوراً إلا ابتغاء وجه ربه والزلفى عنده ، وهذا هو فى ذاته غاية ولا غاية معا ، غاية ، لأن الاتحاد الشعورى مع الله هو « الكمال » وهذا هو هدف الصوفى ، ولا غاية أيضاً ، لأن الصوفى ليس له هدف مادى دنيوى أو أخروى من سلوكه إلا التخلق بأخلاق الله التى لا غاية لها ، فالله تعالى خالق لأنه خالق لا لشىء آخر .

ومن العجيب أن السيد كان مطلعا على كل مناهج المدارس الفكرية والطبيعية والاجتماعية التى وجدت فى أوربا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر حتى التى وجدت فى العصر الحاضر ، بروحها وجوهرها ومؤداها ، وكان قد درس الطبيعيات

والبيالوجيا والتاريخ الطبيعى الحديث والنشوء والارتقاء ، كما أطلع أيضاً على ما تدرسه المدارس السياسية على اختلافها (الديموقراطية ، والاشتراكية والشيوعية) وكان جرحه وتعديله ونقده ورده بفكرة اجتماعية يبعثها الدين ويسيرها العقل ويقودها الكمال الإنسانى .

فمثلا يقول إذا اعتقدنا أن الإنسان من روح الله فهذه العقيدة تخلق لنا كرامة وشرفاً يقودنا إلى العز والمجد ، ويرتفع بنا إلى مستوى عال من جمال الخلق ، وكمال الذات ، وإذا ما ذهبنا إلى أننا من سلالة القرد فليس لنا إلا أن نتبع قانون الغاب ، ونهبط إلى مستوى البهائم ، مع أنه يرد على تلك العقيدة بنفس السلاح الذى استعمله داروين ويقول : إذا كان قطع أذناب كلاب الغالبين فى جزيرة مدغشقر سبباً لولادة كلاب بدون أذناب هناك ، فلم لايحدث ذلك فى الأمم السامية الذين يختنون الأولاد من ألوف من السنين ولا يوجد أولاد مختونون إلا قلة ونذرة .

فالسيد كان فى دينه موحداً ، وفى سياسته داعياً بالوحدة ، وكان يربط بين أجزاء الكون بعقيدة وجود الله الذى هو أصل الوجود ومنبع الشعور ومصدر الإرادة ، وهذه كانت فكرته الصوفية ، وبهذه العقيدة كان يربط بين الروح والجسم والمادة والمعنى وبين النظام الطبيعى والنظام الأدبى .

فالصوفى بطريقة « وحدة الوجود » التى كان السيد يسلكها يرى الوجود الحقيقى فى الله سبحانه وتعالى ، ويرى المادة والقوة ، والشعور فى كل صفاته ، ويرى أن الكون مرآة لوجوده ، وأن أجزاء الكائنات مظاهر لأسمائه الحسنى ، فمن وسعه تعالى كونت الطبيعة ، ومن علمه سبحانه خلق الشعور ، كما يقول سبنوزا — والله واسع عليم .

وهذا كان أساس تأملات السيد التى كسبها فى زيارة أفغانستان ، فمنذ ستة قرون ظهرت فى أفغانستان وشمال الهند وفى جنوب فارس مدرسة أو مذهب أو مشرب يسمى « بالعرفان » وهذه الكلمة بفحواها قريبة من كلمة « الإشراق » .

وبعد الشيخ شهاب الدين السهر وردى انقسمت المدرسة إلى قسمين مدرسة « المشائين Peripatetie » أعنى مدرسة الاستدلال المنطق الإرسطاطاليسى الاستقرائى المتكىء على الفكر الخالص ، ومدرسة الإشراقيين الذين كانوا يجمعون القلب مع المخ ويسلحون العقل بالحدس والإلهام ويزدوجون الحب مع الوظيفة ، وكان العلم ، ولاسيما علم الكلام عندهم . مجموعة من الوعى والعقل . والتصوف والمنطق والأدب ، والفرق بين الإشراق والعرفان ، أن الإشراق يطلق على الجانب العلمى والعرفان يستعمل فى الجانب الأدبى لهذا المذهب .

وهذا النوع من التصوف أعنى (وحدة الوجود) كان مؤيداً لفكرة الذرة الديمقراطية التى أيدها الدين الإسلامى ، لأن أهل الكلام ماقالوا عن فكرة الهيولى والصورة لأرسطو ، إلى نظرية الذرة التى كانت عند ديمقراطيس .

وإنى سمعت كثيراً يحكون أن السيد كان يترنم حيناً بعد حين بهذه الأبيات للشاعر الصوفى (العراقى) المعروف :

نخستين باده كاندرجام كودند زجشم مست ساقى وام كوند

* * *

جوخود كردند سرخويشتن فاش « عراقى » راجرا بد نام كردند

معنى البيت الأول :

إن أول رحيق صبوها فى القدح كان الذى استعاروه من عين الساقى السكرى

وهذه عقيدة الصوفيين الذين يقولون أن منبع الحب بذاته قدسى سماوى مأخوذ من الجمال المطلق ، فالجمال عندهم مثالى طلع من المشرق الآلهى .

ومعنى البيت الثانى وهو آخر الغزل :

فلما هم بنفسهم أفشوا سرهم

فلماذا إذن ألقوا التهمة على « العراقى » (أو لماذا أساءوا إلى سمعة العراقى)

وهذه هى عقيدة الصوفيين فى قضية « حسين بن منصور الحلاج » فيقول الشيخ محمود الشبسترى :

إن كلمة « أنا الحق » التى قالها حسين بن منصور هى كشف مطلق للأسرار ، ومن الذى يتجاسر أن يقول « أنا الحق » إلا الحق نفسه ؟ ففحوى كلام الشيخ الشبسترى أن الذى قال « أنا الحق » كان الحق ذاته ولم يكن منصور الحلاج إلا شخصاً فانياً فى الحق ولم يكن هو القائل .

فهذان البيتان من أعلى قمم التصوف ، والسيد جمال الدين كان مغرماً بهما ، وهذا دليل واضح على أن السيد فضلا عن بيئته ومحيطه العلمى والعرفانى والإشراقى ، كانت له نزعة عميقة إلى التصوف .

ويروى عن السيد أيضاً أنه كان يحاول أن يحل مسألة الأقانيم الثلاثة عند المسيحيين . أعنى « الأب والإبن وروح القدس » بنظرية وحدة الوجود ، بمعنى أن الثلاثة هى بمثابة ثلاثة مظاهر لحقيقة واحدة ، كما كان سقراط يقول : إن الخير والحق والجمال ثلاثة مظاهر للحقيقة ، ومن هذا يظهر أيضاً أن السيد كان يحاول أن تتسع الوحدة بين المسلمين والمسيحيين الأمتين اللتين كان بينهما عطف وصلة وتعاون عريق منذ فجر الإسلام .

المجتمع الاسلامى
ومصادر تنظيمه

للاستاذ الشيخ محمد أبو زهرة

لابد قبل أن نخوض فى بيان المجتمع الإسلامى العادل الذى ألف بين القوى الإنسانية ، ونظم العلاقات على أسس قويمة من العدل والحق والمودة — أن نبين المصادر التى استقى منها النظم التى تحكمه .

وهذه المصادر فى لبها دينية لأن الإسلام دين وقانون ؛ أو إن شئت فقل إنه ينظم علاقة العبد بربه على أساس أن أشد قربة إلى الله أن يحسن إلى خلق الله تعالى وألا يسىء إليهم ، فإن الإساءة إلى الخلق إساءة إلى الخالق ، وإيذاء العبد بعد عن الرب ، ولذلك كان التعامل الفاضل متلازما مع العبادة السليمة ، وكل عبادات الإسلام تؤدى إلى تأليف اجتماعى يقوم على الفضيلة والخلق المستقيم .

ولذلك كانت مصادر التنظيم للمجتمع الإسلامى مصادر دينية ، وما يكون من اجتهاد المجتهدين فهو مبنى على هذه المصادر الدينية ، ولذلك نقسم المصادر لهذه الأحكام إلى قسمين : نصوص دينية ، واجتهاد المجتهدين بالبناء على هذه النصوص .

والنصوص الدينية هى القرآن الكريم الذى نزل بحروفه ومعانيه على النبى صلى الله عليه وسلم ، والسنة النبوية ، وهى أقوال النبى صلى الله عليه وسلم التى تكون بياناً للأحكام الإسلامية ، وشرحاً للقرآن الكريم ، وكذلك أفعاله التى يكون القيام بها عبادة ، كصلاته وحجه أو غير عبادة كمعاملته لأعدائه ، ولأوليائه ، ومثل ذلك ما كان يقر عليه اصحابه من أقوال وأفعال ، ولذلك قسم العلماء السنة إلى أقوال ، وأفعال ، وتقريرات ، والتقريرات ما ذكرنا من أن أحد أصحابه يقول قولا ، أو يفعل فعلا فيقره عليه .

والنصوص الدينية هى المصدر الأول ، واجتهاد المجتهدين يجب أن يكون مبنياً عليها متفقا مع مقاصدها وغاياتها ، وهو لا يكون إلا إذا لم يكن نص ولقد أرسل النبى صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل قاضياً باليمن ، فقال بم تقضى ؟ قال : بكتاب الله ، قال الرسول : فإن لم يكن ! قال بسنة رسول الله ، قال فإن لم يكن ! قال أجهد رأيى ولا ألو ، أى لا أقصر .

والنصوص قد اشتملت على جملة الأحكام المنظمة للمجتمع ، أما الاجتهاد فهو فى تفصيل هذه الأحكام ، وقد اشتملت أحكام النصوص على ما يأتى فى تنظيم المجتمع الانسانى .

١ — المعاملات المالية :

فقد اشتمل القرآن الكريم والسنة النبوية على بيان أسس التعامل المالى بين آحاد المجتمع كله تنظيما يقوم على أسس عادلة من شأنها أن تمكن كل امرىء من أن يعمل ، ومن أن تكون له نتائج عمله قلت أو كثرت ؛ وقد نهى القرآن والسنة عن أن يأخذ إنسان مال الآخر بغير رضاه ، وأن يأكله بالباطل ، ومن الأكل بالباطل الرشوة ، وما وجدت الرشوة فى مجتمع إلا أفسدت موازينه ، وإذا أفسدت الموازين اضطرب أمره ولذا قال تعالى : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » .

ومن الأكل بالباطل الربا ، فإن النقد لا يلد النقد ، فكيف يأخذ مائة ويرد مائة وعشرة ، فهل ولدتها ؛ وإذا كانت نتيجة استغلال ، فإنه يجب أن يشترك معه فى الكسب والخسارة ، لا أن يكون له الغنم دائما . والآخر عرضة وحده للغنم والغرم معا .

وإن الربا يحل المجتمعات ، ويجعل المستدين ينظر إلى الدائن على أنه آكل له ، فيكون الحقد ، وتكون البغضاء ، وتحل الروح المادية بدل المودة الواصلة الرابطة بين الآحاد ؛ وهو آفة من الآفات الاجتماعية ، تترتب عليه الأزمات الاقتصادية ، حرمته الأديان السماوية كلها .

ومما أحاط به الاسلام المعاملات لتكون فى دائرة الفضيلة التى ينمو المال بظلها — الأمانة ؛ فقد أمر بها لكل إنسان لا فرق بين مسلم وغير مسلم ، وغنى وفقير ، وعدو وولى . فالكل سواء فى أن له الحق فى المحافظة على ماله بأمانة الله تعالى .

٢ — تنظيم الأسرة تنظيما اجتماعيا :

وقد نظمت نصوص مجتمع الأسرة من حيث العلاقة بين الزوجين ، وعلاقة الآباء بأولادهم ، وربطت ما بين الأقارب . وفصلت الحقوق والواجبات لكل واحد قبل أقاربه الأقربين وغيرهم ، وتعرضت للواجبات الأدبية والحقوق المادية . فنظمت التوارث ، وتصدى لبيانه بالتفصيل القرآن ، ونظمت العلاقة بين الفقير والغنى فى الأسرة ، فأوجبت على الغنى النفقة على الفقير .

وجعلت أساس الحقوق والواجبات فى الأسرة المودة والرحمة والتواصل ، وبينت أنها إذا فقدت الرحمة أو المودة تقطعت أوصالها ، وغير ذلك مما سنفصله عند الكلام فى مجتمع الأسرة .

٣ — تنظيم المجتمع الصغير بعد الأسرة

تعرضت النصوص لتنظيم المجتمعات الصغيرة ، فنظمت فيها العلاقة بين الجيران والخلطاء فى مصلحة واحدة مشتركة ، وذكرت أن التعاون أساس الروابط الموثقة بين أعضاء هذه المجتمعات مما سنفصل القول فيه عند الكلام على تنظيم الاسلام للمجتمعات الصغيرة .

٤ — تنظيم المجتمع فى الأمة

نظمت النصوص العلاقة بين المستظلين بظل الدولة الاسلامية على أساس من الفضيلة ومن العدل ومن التعاون ومن المساواة فى الحقوق والواجبات بحيث يكون كل حق فى مقابله واجب ، واعتبرت الجميع سواء أمام القانون وأمام القضاء ، لا فضل لمسلم على غير مسلم ولا لعربى على عجمى . والعقوبات الاسلامية تشمل الكبير كما تشمل الصغير ولا يعفى منها كبير لكبره . ولا تنزل بصغير لصغره بل الجميع أمامها سواء .

وقد نظمت التعاون بين الغنى والفقير وعملت على تهيئة الفرص لكل عامل فى أرض الدولة ، وسهلت السبيل لمزاولة نشاطه فى الطاقة التى يستطيعها ، وتيسرها له مواهبه .

كما نظمت النصوص العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، وبنى الحكم فى الدولة الاسلامية على أساس العدل والمساواة ، وأن يكون اختيار الحاكم على أساس الشورى ، وحكمه على أساس الشورى ، كما أن على الحاكم أن يلاحظ مصلحة الجماعة المادية والأدبية ، فلا يرهق أحداً من أمره عسراً ؛ ودعا إلى رفق الوالى برعيته ، وإن على الحاكم أن يحمى المجتمع من الرذائل والمفاسد . وهكذا نجد تلك النصوص قد أقامت المجتمع فى الدولة الاسلامية التى تضم المسلم وغير المسلم على أساس من العدالة والرفق ، والشورى والمصلحة والتعاون . ومنع الفساد والآثام التى تفتك بالمجتمع .

٥ — المجتمع الانسانى

نظمت النصوص الاسلامية العلاقة بين بنى الانسان بعضهم مع بعض وعلاقات الدولة الاسلامية على أساس من التكريم للإنسان ، لمجرد أنه إنسان . لا فرق بين لون ولون ، وجنس وجنس ، وعالم وجاهل ، ومتقدم ومتخلف ، فإن كان فيهم متخلف ، فعلى المتقدم أن يأخذه بيده ، لا أن يجعله مستغلا ومغنما له ولا يضن عليه بحق الحياة العزيزة الكريمة التى هى حق الإنسان بمقتضى إنسانيته ، وإذا كان العلم له فضل ، فهو يفرض على صاحبه أيضا ، لأنه ما من حق فى الاسلام إلا تعلق به واجب . وقررت النصوص الإسلامية وجوب العداله مع الأعداء من الدول ، ووجوب دفع الاعتداء بحيث لا يتجاوز دفع الأعداء المقاتلين الذين يحملون السيوف ، فلا يتجاوزهم إلى غيرهم فلا يقتل زارع فى زرعه ، ولا عامل فى عمله ، ولا امرأة فى بيتها ، ولا طالب فى معهده ، فليست الحرب خرابا ودمارا ، ولكنها دفع للخراب والدمار .

وأمرت النصوص بالفضيلة مع الأعداء والأولياء ، ولو كان الأعداء لا يلتزمون هذه الفضيلة ، فإن الفضيلة كمال للفاضل ، وليست معاملة بالمثل ، فلا يقلد الفاضل الشرير ، وإلا زالت الفضائل من هذه الأرض .

ولقد فصلت النصوص ما فصلت من حقوق وواجبات بين الآحاد بعضهم مع بعض ، وبين الأسرة التى تعد اللبنة الأولى فى البناء ، ثم فى المجتمعات الصغرى والكبرى ، حتى تضمنت التنظيم الاجتماعى للأسرة الإنسانية كلها ، فى مثل قوله تعالى . « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

ولقد جاء من بعد ذلك المجتهدون ففسروا هذه النصوص تفسيراً علميا ، استخلصوا منها مقاصدها وغاياتها ، والبواعث عليها ، وبنوا على ما استنبطوا أحكاما لما لم يرد فيه نص ، ولم تتعرض له النصوص من بيان جزئى ، وطبقوا النصوص والقواعد التى استنبطوها بما يلائم المجتمعات فى عصرهم .

هذا وإن الدارس للنصوص الدينية من حيث مقاصدها ، يجد أن لها قوانين جامعة فى النظم الاجتماعية الى سنتها وهى الفلسفه التى يقوم عليها المجتمع الاسلامى ، والأهداف التى يقصدها .

التربية الدينية الإسلامية

يجب أن تأخذ مكانها

فى مراحل التعليم

للدكتور محمد خلف الله أحمد

عميد كلية الآداب بجامعة الإسكندرية

مصر أمة يدين غالبية أهلها بالإسلام وتحتل القيم مكاناً أصيلا فى ثقافتها وأدبها وتفكيرها ونظم حياتها ، ولهذا كان من الطبيعى — والضرورى — أن يأخذ التعليم الدينى الإسلامى مكانه الأصيل فى مراحل التعليم فيها لينمو مع الطفل عاطفته الدينية ، وليتشكل تفكيره الأخلاقى وسلوكه فى الحياة حسب توجيه الدين وتعاليمه ، ومادامت التربية الدينية عند الطفل جزءا من تربيته العامة فمن الواجب أن تتكيف أهدافها ووسائلها حسب مراحل نمو الطفل وتطور ذهنه ووجدانه ويجب أن تخضع له سائر نظم التربية من بحث وتجريب وتعديل وإفادة ، بما يهيئه تقدم العلم من وسائل وأساليب.

أما أهداف التربية الدينية وأوضاعها بوجه عام فقد بحثها علماء التربية فيما بحثوا وتتبعوا تطورها عند الأمم المختلفة حسب التطور الاجتماعى والثقافى والسياسى لكل منها وحسب اتجاهات الدين الغالب فيها ، فهى عند الأمم الكاثوليكية غيرها عند الأمم البروتستانتية ، وهى فى أمريكا غيرها فى أوربا وهكذا .

وإذا أردنا أن نحدد الأهداف التى يجب أن تتجه إليها التربية الدينية لأطفالنا وجب أن نذكر فى مقدمتها تنمية العاطفة الدينية فى نفوسهم منذ صغرهم ، وتقوية إيمانهم بالله وملائكته وكتبه ورسله وحماية عقائدهم من الزيغ والفتن وهذه العاطفة إذا نمت قوية سليمة كان لها أثرها فى سائر عواطفهم التى يتألف منها نظام شخصياتهم كعاطفة حب الوطن ، وعاطفة حب الفضيلة وغيرهما .

والهدف الثانى الذى يجب أن نوجه إليه جهودنا هو تحبيب الفضائل ، وبناء نظام سليم من الأخلاق الإسلامية فى نفوسهم وتنبيههم إلى مصادر تلك الأخلاق فى القرآن

والحديث وسيرة الرسول وإلى آثارها فى حياتهم الفردية والجماعية وفى حياة وطنهم وأمتهم ومحاولة توجيه سلوكهم فى شتى النواحى على الأسس التى وضعها الإسلام .

ومن الضرورى فى وصلهم بالدين وإثارة روح الاعتزاز به عندهم أن نعرفهم نشأة الإسلام وسيرة رسوله وجهاده فى سبيل دعوته وماقام به خلفاء الإسلام وعلماؤه وأبطاله من معالى الأمور ، وماكان للمسلمين من أثر فى الحضارة العالمية .

والهدف الرابع من أهداف التربية الدينية ربط الدين بالحياة فى نفوس التلاميذ وتبصيرهم بأسرار التشريع الإسلامى . وبموقف الإسلام من معضلات الحياة الحديثة وإشعارهم جمال هذا الدين وصدق تعاليمه ، وما امتاز به بين الأديان من شمول وسعة أفق .

هذه الأهداف متشابكة مترابطة يخدم بعضها بعضا ولكنها تحتاج إلى نظام من التدرج يساير نمو الطفل واتساع مداركه ، فالطفل فى المراحل الأولى من حياته التعليمية — من السادسة إلى الثانية عشرة — سريع التأثر واسع الخيال ، قابل للتلقين ، مستعد لتقليد من هم أكبر منه ، سهل التشكيل فى عوائده وألوان سلوكه . وقد تنبهت دراسات التربية وعلم النفس إلى الوسائل التى تعين على جذب انتباهه فى هذه المرحلة وإثارة وجدانه وإيصال المعلومات إليه كالقصص والحكايات والتمثيل والأناشيد والصور والأفلام ، وكالممارسة العملية للنواحى التى يراد توجيهه إليها وكتلقينه نصوصاً يحفظها ويرددها ، ويمكن ترجمة كل هذا فى منهج للتربية الدينية فى تلك المرحلة يكون من عناصره المطالعة القصصية فى سيرة الرسول وسير الأنبياء والخلفاء الراشدين وأبطال الإسلام وقواده ويكون منها شىء من الأناشيد والأغانى الدينية التى تهز مشاعر الأطفال وتغذى وجدانهم ، ثم يكون منها حكايات تتضمن مكارم الأخلاق الإسلامية مصورة تصويراطبيعيا غير متكلف ، هذا إلى بعض دروس عملية كالصلاة . أو تصويرية كعرض مناسك الحج فى أفلام جذابة أو تمثيلية يقوم التلاميذ بأدوارها ويعرضون فيها بعض المواقف والشخصيات الإسلامية ، ومما تتطلبه التربية وتقره ، تلقين الأطفال نصوصاً من القرآن والحديث ، مما يكون فيه تمجيد لله أو تنبيه إلى آثار عظمته وقدرته أو ترغيب فى طاعته وتحذير من معصيته أو إبراز لموعظة من أحوال الأمم السابقة وموقفها من أنبيائها أو توجيه إلى الفضائل القريبة من نفوس الأطفال كالرفق والصدق وحسن الأدب ومساعدة الآخرين والعطف على المحرومين والبائسين .

وليس من الصالح هنا تكليف التلاميذ من الحفظ فوق ما يطيقون ، بل ينبغى أن يتبسط المدرس معهم فى شرح ما يقرءون من القرآن وتقريبه إلى نفوسهم وتوضيحه بمختلف الوسائل وتشجيعهم على حفظ بعضه حسب طاقتهم ورغبتهم .

فإذا ما انتقلنا من هذه المرحلة إلى المرحلة التالية من الثانية عشرة إلى نهاية التعليم الثانوى وجدنا الطفل قد أخذت مداركه تقوى ، وتفكيره يتسع ، ووجدناه كثير السؤال والمناقشة ميالا إلى النظر والاستنباط قادرا على أن يعالج موضوعاً من الموضوعات أو حكما من الأحكام ومن الطبيعى أن يتجه منهج التعليم الدينى فى هذه المرحلة وجهة تناسب تلك الخصائص وتسايرها ، فالطفل هنا مستعد لإدراك قواعد الحياة ، وهو قادر أن يفقه النواحى الأخلاقية وآثارها فى المجتمع ، ويوازن بين الفضيلة والرزيلة وما يترتب على كل فى حياة الفرد وكيان الأمة ، وقد بلغ من النضج الذهنى حدا يمكنه من تصور المسئولية والجرأة والثواب والعقاب والمقاصد ، وهو عرضة فى مرحلة المراهقة والبلوغ لألوان من الشك تخامر نفسه ، ولابد للتربية الدينية من أن تواجه تلك الشكوك ، وتساعد على تجليتها حتى تسلم للناشىء عقيدته ويثبت إيمانه .

وإذن فسيحتوى منهج التعليم الدينى هنا — مع التنويع الضرورى للبنين والبنات — سورا من القرآن تفسر وتناقش محتوياتها ، وأبواباً من الحديث تدرس وتطبق توجيهاتها فى أحوال الحياة والاجتماع ونواحى من التشريع يكشف عن مراميها وأسرارها وضروبا من العوائد والنظم تدرس فى ضوء الأصول والتوجيهات الدينية ، ومسائل من العقيدة تحلل وتوضح صعوباتها وقراءات فى التوحيد والأخلاق والتصوف وسير العلماء والصالحين وإلماما بأهم فروع العلوم الدينية وميادينها .

وينبغى الانتفاع فى هذه المرحلة برغبة الطلاب فى المناقشة والمناظرة فتتخذ من حصص الدين فرص لدراسة الموضوعات الدينية التى يثيرها التلاميذ ويوجهون للقراءة حولها ، والكتابة والمناظرة فيها مع الإفادة من الأفلام التصويرية ومن زيارة الآثار الإسلامية . وأداء الجمع فى المساجد والاحتفال بالمناسبات الدينية ، كمولد الرسول وهجرته ، وغزوة بدر وفتح مكة وتشجيع المسرح الإسلامى على عرض تمثيليات تغذى شعور الطلاب وتحبب إليهم القيم الروحية وتخصيص جانب من نشاط الإذاعة المدرسية لتناول بعض الموضوعات التى تصل بين الدين والحياة .

ومما ينبغى التنبيه له أن الإسلام ليس مجرد عقائد وعبادات ومعاملات ، ولكنه

عقيدة وشريعة وثقافة ونظام واجتماع . ولهذا يجب أن تتعاون فروع الدراسة المختلفة من دروس دين وأدب وتاريخ وفن وفلسفة واجتماع وغيرها على أن تبرز للطالب جمال تعاليم الإسلام وسعة آفاقه ، وجمعه بين المثالية والعملية وحضه على العلم والمعرفة وأخذه بأسباب القوة والتقدم وما إلى ذلك مما يجعل الدين ظاهرة حية لعقل الطالب ونفسه ، وعاملا فعالا فى تنقية وجدانه وضميره .

والركن الأكبر فى نجاح هذا المنهاج من التربية هو المعلم الذى ينبغى أن يعاد النظر فى تكوينه وإعداده وأن يرسم لذلك منهج جديد يحقق عمق الثقافة وحرية الفكر وحسن التصرف ، والتهدى إلى إدراك الصلات بين تعاليم الدين ومعضلات الحياة .

ولعل إحدى الوسائل فى هذا أن ينشأ فى كليات تخريج المدرسين أقسام للدراسات الإسلامية يتخصص فيها الطلاب فى الثقافة الدينية والتشريع والاجتماع وسيكولوجية الدين والأخلاق وتاريخ الحضارة الإسلامية .

من تفسيرات الصوفية للقرآن

« للصوفية رقائق فى تفسير القرآن العظيم »
« تشع نورا ، وتلهم ذوقا ، وتضفى »
« على المعانى حياة روحية صاعدة »

● سئل أبو بكر الكتانى ، عن قوله تعالى : « إلا من أتى الله بقلب سليم » فقال : القلب السليم على ثلاثة أوجه من طريق الفهم :

أحدها : هو الذى يلقى الله تعالى عز وجل ، وليس فى قلبه مع الله شريك .

والثانى : وهو الذى يلقى الله تعالى ، وليس فى قلبه شغل مع الله عز وجل ، ولا يريد غير الله تعالى

والثالث : الذى يلقى الله عز وجل ، ولا يقوم به غير الله عز وجل ، فنى عن الأشياء بالله ، فنى عن الله بالله .

● وسئل شاه الكرمانى عن قوله عز وجل : « الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين » فقال : الذى خلقنى فهو يهدين إليه لا إلى غيره ، وهو الذى يطعمنى الرضا ، ويسقينى المحبة ، وإذا مرضت بمشاهدة نفسى فهو يشفينى بمشاهدته ، والذى يميتنى عن نفسى ، ويحيينى به ، فأقوم به لا بنفسى ، والذى أطمع أن لا يخجلنى يوم ألقاه بنظرى إلى طاعتى وأعمالى ، ثم افتقر إليه بكليتى.

● وسئل الشبلى عن قوله تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » فقال : أبصار النفس كافة عن محارم الله كافة .

هاروت وماروت والسحر

هل سحر النبي !!؟

للدكتور محمد نوفيق صدقي

...« ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . . . واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ، وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق . ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » .

ذهب كثير من المحققين سلفا وخلفا إلى أن هاروت وماروت كانا رجلين متظاهرين بالصلاح والتقوى فى بابل وكانا يعلمان الناس ويبلغ حسن اعتقاد الناس بهما أن ظنوا أنهما ملكان من السماء ، وما يعلمانه للناس هو بوحى من الله ، وبلغ من مكر هذين الرجلين ومحافظتهما على اعتقاد الناس الحسن فيهما وفى علمهما أنهما صارا يقولان لكل من أراد أن يتعلم منهما : « إنما نحن فتنة فلا تكفر » أى أننا نحن أولو فتنة نبلوك ونختبرك أتشكر أم تكفر ؟ ونتصح لك بأن لا تكفر ، يقولان ذلك ليوهما الناس أن علومهما إلهية ، وصناعتهما روحانية ، وأنهما لا يقصدان إلا الخير كما يفعل ذلك دجاجلة هذا الزمان قائلين لمن يعلمونهم الكتابة للمحبة والبغض على زعمهم ، توصيك بأن لا تكتب لجلب امرأة متزوجة إلى رجل غير زوجها : إلى غير ذلك من الأوهام والافتراء ، ولليهود فى ذلك خرافات كثيرة ، حتى أنهم يعتقدون أن السحر نزل عليها من الله وأنهما ملكان جاءا لتعليمه للناس ، وقد جاراهم فى ذلك جهلة من المفسرين فجاء القرآن مكذبا لهم فى دعواهم نزوله من السماء وفى ذم السحر ومن يتعلمه أو يعلمه فقال : « يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين » إلى آخر الآية ، فما هنا نافية على أصح الأقوال ولفظ — الملكين

هنا وارد على حسب العرف الجارى بين الناس فى ذلك الوقت كما يرد ذكر آلهة الخير والشر فى كتابات المؤلفين عن تاريخ اليونان والمصريين وغيرهم ، وكما يرد فى كلام المسلم فى الرد على المسيحيين فى ذكر تجسد الإله وصلبه ، وإن كان لا يعتقد ذلك .

والمراد بالشياطين المذكورين قبل ذلك فى قوله : « واتبعوا ما تتلوا الشياطين » ، خبثاء الأنس وأشرارهم كما فى قوله تعالى : « وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم » وقوله تعالى : « شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض » والذى يعين هذا المعنى فى الآية التى نحن بصدد تفسيرها قوله سبحانه « تتلوا » لأن تلاوة شياطين الجن لا يسمعها أحد ، ومعنى تتلوا هنا : تقص ، وقوله بعدها « يعلمون الناس السحر » . يعين هذا أيضا ، إذ لا يتعلم أحد السحر إلا من شياطين الأنس ، وقوله تعالى : « ما يفرقون به بين المرء وزوجه » هو من قبيل التمثيل لاظهار الأمر فى أقبح صوره ، أى بلغ من أمر ما يتعلمونه من ضروب الحيل وطرق الافساد ، أن يتمكنوا به من التفريق بين أعظم مجتمع كالمرء وزوجه ، والخلاصة أن معنى الآية من أولها إلى آخرها هكذا :

إن اليهود كذبوا القرآن ونبذوه وراء ظهورهم واعتاضوا عنه بالأقاصيص والخرافات التى يسمعونها من خبثائهم عن سليمان وملكه وزعموا أنه كفر ، وهو لم يكفر ، ولكن شياطينهم هم الذين كفروا وصاروا يعلمون الناس السحر ويدعون أنه أنزل على هاروت وماروت اللذين سحرهما ملكين ولم ينزل عليهما شىء ، وإنما كانا رجلين يدعيان الصلاح لدرجة أنهما كانا يوهمان الناس أنهما لا يقصدان [illegible] انهم من الكفر ، وبلغ من أمر ما يتعلمونه منهما من طرق الحيل [illegible] أنهم يفر[illegible] ون به عقد المستجدين .

فأنت ترى من هذا أن المقام كله للذم فلا يرد فيه مدح هاروت وماروت كما توهم كثير من المفسرين والذى يدلك على صحة ما قلناه فيهما أن القرآن ذكر نزول أى ملك إلى الأرض ليعلم الناس شيئا من عند الله غير الوحى إلى الأنبياء ، ونص نصا صريحا أن الله لم يرسل إلا الانس لتعليم بنى نوعهم فقال : « وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » وقال منكرا على من طلب إنزال الملك « وقالوا لولا أنزل عليه ملك ، ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون » وقال فى سورة الفرقان « وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيرا » إلى قوله « فضلوا فلا يستطيعون سبيلا » .

واعلم أن السحر لا يغير حقائق الأشياء وإنما هو تخيل وشعوذة وحيل كما قال تعالى فى حكاية سحرة فرعون : « يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى » وقال أيضاً . « سحروا أعين الناس واسترهبوهم » أى إنهم دلسوا عليهم وخيلوا لأبصارهم وأوهموهم صحة مايفعلون ، فأين هذا من قول كتاب اليهود الذى يقول : — وصارت العصى ثعابين — كأن المسألة كانت حقيقة .

هذا وإذا لم يكن للسحر تأثير حقيقى فلا يمكن أن يسحر النبى صلى الله عليه وسلم حتى أنه صار يخيل إليه أنه يفعل الشىء وهو لا يفعله كما افتراه المفترون ، إذ لو جاز ذلك لجاز أن يتوهم أنه أوحى إليه شىء وهو لم يوح إليه ، ولصدق عليه قول الكافرين « إن تتبعون إلا رجلا مسحورا » وقد أنكر القرآن عليهم ذلك بنفسه ، وإنما قالوه طعنا فيه ورداً لحجته الباهرة كما قالوا عنه أنه ساحر وكاهن ومجنون وشاعر إلى غير ذلك مما اختلقوه ، وأما قوله تعالى : « ومن شر النفاثات فى العقد » الذى اتخذه المفترون دليلا على افكهم فمعناه هكذا :

النفاثة من صيغ المبالغة كالعلامة والفهامة يستعمل كذلك للذكر والأنثى ، والنفاثات جمعه والمراد بها هنا النامون المقطعون لروابط لروابط الألفة ، المحرفون لها بما يلقون من ضرام نمائمهم ، وما ينفثون فيها من كوم وشاياتهم ، والعقد كالعقود معنى مثل عقدة النكاح ، وعقدة البيع وغيرهما ، كأنه قال : نعوذ من شر من يسعى لحل المجتمعات الخيرية ، والتفريق بين المحبين المتحدين .

والدليل على كذب المفترين غير ما ذكرنا أن هذه مكية وما يزعمونه يدعون أنه حصل بالمدينة ، فكيف يصح أن يقال نزلت فيه ؟ .

ومن هنا يتضح أن دعوى سحر الرسول صلى الله عليه وسلم كالسراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، وأن ما يتوهمه بعض العامة فى السحر باطل . وأن الإسلام وهو دين العقل والعلم لا يقره ولا يرضى عنه ؟

من سيرة مولانا الحسين

للأستاذ حسن كامل الملطاوى

وكيل وزارة الخزانة ورئيس مجلس إدارة مسجد الإمام الحسين

— ٢ —

مكانة رضى الله عنه بين اجلاء الصحابة والتابعين :

كان رضى الله عنه موضع إكبار وإجلال من أجلاء الصحابة والتابعين وعلى رأسهم سادتنا الخلفاء الراشدون ، ولقد روى ابن عباس أن أمير المؤمنين الفاضل العادل سيدنا عمر كان يحب الحسن والحسين ويقدمهما على ولده عبد الله ولقد قسم يوما فأعطى الحسن والحسين كل واحد منهما عشرة آلاف درهم وأعطى ولده عبد الله ألف درهم فعاتبه ولده وقال قد علمت سبقى فى الإسلام وهجرتى وأنت تفضل على هذين الغلامين فقال ويحك ياعبد الله أتنى بجد مثل جدهما وأب مثل أبيهما وأم مثل أمهما وجدة مثل جدتهما وخال مثل خالها وخالة مثل خالتهما وعم مثل عمهما وعمة مثل عمتهما جدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالاتهما زينب ورقية وأم كلثوم وعمهما جعفر بن أبى طالب وعمتهما أم هانىء بنت أبى طالب .

وقال ابن عساكر فى التاريخ الكبير جعل عمر عطاء الحسن والحسين مثل عطاء أبيهما فألحقهما بفريضة أهل بدر ففرض لكل واحد منهما خمسة آلاف .

وقد روى أن مولانا الحسين رضى الله عنه كان يشيع جنازة فجلس وهو راجع يستريح قليلا فأخذ أبو هريرة رضى الله عنه ينفض بثوبه التراب عن نعليه فقال له مولانا الحسين وأنت يا أبا هريرة تفعل ذلك . قال دعنى لو علم الناس من أمرك ما أعلم لحملوك على الرقاب .

وروى أن ابن عمر رضى الله عنه كان يجلس بجوار الكعبة فدخل مولانا الحسين المسجد الحرام فقال ابن عمر رضى الله عنه لجلسائه أتدرون من أحب أهل الأرض إلى السماء اليوم قالوا لا قال هذا القادم على بيت الله وأشار إلى مولانا الحسين رضى

الله عنه . فنظر إليه رجل من عرافى البادية وهتف اذن فويل له من أهل الأرض فقيل له لم فقال لأن مكانه فى السماء .

وما أبدع ما أجاب به الطاهر الظافر سيدى محمد بن الحنفية (أخو مولانا الحسن لأبيه) حين قالوا له لم يغرر بك أبوك فى الحرب ولا يغرر بالحسن والحسين ؟

فقال أنهما عيناه وأنا يمينه فهو يدفع عن عينيه بيمينه . وكان سيدنا على يقول كفوا عنى هذين أى الحسن والحسين لئلا يهدانى فإنهما ان هلكا انقطع نسل محمد صلى الله عليه وسلم من هذه الأمة .

وانظروا إلى إحترام سيدى محمد بن الحنفية لمولانا الحسين فى القصة التالية :

جرى بينهما رضى الله عنهما كلام فافترقا متغاضبين، فلما وصل محمد إلى منزله كتب إلى أخيه الحسين بعد البسملة :

« من محمد بن على إلى أخيه الحسين بن على »

أما بعد : فان لك شرفا لا أبلغه وفضلا لا أدركه ، فإن أمى امرأة من بنى حنيفة وأمك فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كان ملء الأرض مثل أمى ، ما وفين بأمك .

فإذا قرأت رقعتى هذه فالبس ردائك ونعليك ، وسر إلى لترضينى ، وإياك أن أسبقك إلى هذا الفضل الذى أنت أولى به منى ، والسلام .

فلبس الحسين رداءه ونعليه ، وجاء إليه وترضاه .

شىء من وصايا أبيه له :

روى الشريف الرضى فى نهج البلاغة والمبرد فى الكامل أن عليا لما ضرب ثم دخل منزله اعترته غشية ثم أفاق فدعا الحسن والحسين فقال أوصيكما بتقوى الله والا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ولا تأسفا على شىء منها زوى عنكما ، أعملا الخير وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا . يا بنى عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضا تقولون قتل أمير المؤمنين لا تقتلن بى إلا قاتلى أنظروا إذا أنا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة ولا تمثلوا بالرجل فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أياكم والمثلة ولو بالكلب العقور .

ثم دعا محمد (أى ابن الحنفية) فقال ألم تسمع ما أوصيت به أخويك قال بلى

قال فانى أوصيك به وعليك بين أخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع أمراً دونهما .

ثم أقبل عليهما فقال أوصيكما به خيراً فانه شقيقكما وابن أبيكما وأنتما تعلمان أن أباكما كان يحبه فأحباه .

وروى أبو منصور الثعالبي فى الإعجاز والإيجاز تلك الوصية الخالدة التى وجهها سيدنا على كرم الله وجهه إلى مولانا الحسين رضى الله عنهما وهى :

يابنى أوصيك بتقوى الله عز وجل فى الغيب والشهادة ، وكلمة الحق فى الرضا والغضب ، والقصد فى الغنى والفقر ، والعدل فى الصديق والعدو ، والعمل فى النشاط والكسل ، والرضا عن الله تعالى فى الشدة والرخاء .

يابنى ماشر بعده الجنة بشر ولاخير بعده النار بخير ، وكل نعيم دون الجنة محقور ، وكل بلاء دون النار عافية .

أعلم يابنى أن من أبصر عيب نفسه شغل عن غيره ، ومن رضى بقسم الله تعالى لم يحزن على ما فاته ومن سل سيف البغى قتل به . ومن حفر بئراً لأخيه وقع فيها ، ومن هتك حجاب غيره انكشفت عورات بيته ، ومن نسى خطيئته استعظم خطيئة غيره ومن كابد الأمور عطب . ومن اقتحم البحر غرق ، ومن أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله ذل ومن تكبر على الناس ذل ومن سفه عليهم شتم ومن دخل مداخل السوء إتهم ومن خالط الأنذال حقر ، ومن جالس العلماء وقر ، ومن مزح استخف به ومن اعتزل سلم ومن ترك الشهوات كان حراً ومن ترك الحسد كان له المحبة من الناس . يابنى عز المؤمن غناه عن الناس والقناعة مال لاينفد ومن أكثر ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير ومن علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما ينفعه .

العجب من خاف العذاب كيف لا يكف . ورجا الثواب فلم يعمل ، الذكر نور ، والغفلة ظلمة ، والجهالة ضلالة والسعيد من وعظ بغيره والأدب خير ميراث وحسن الخلق خير قرين . يابنى ليس مع قطيعة الرحم نماء ولا مع الفجور غنى ، يابنى العافية عشرة أجزاء تسعة منها فى الصمت إلا بذكر الله تعالى وواحد فى ترك مجالسة السفهاء . ومن تزين بما سوى الله عز وجل فى المجالس ورثه الله ذلا . ومن طلب العلم علم .

يابنى رأس العلم الدين والمفتاح العمل . ومن كنوز الإيمان الصبر على المصائب والعفاف زينة الفقر والشكر زينة الغنى ، ومن أكثر من شىء عرف به ، ومن كثر

كلامه كثر خطؤه ، ومن كثر خطؤه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه ، ومن مات قلبه دخل النار . يابنى لا تؤيسن مذنبا فكم من عاكف عن ذنبه ختم له بخير ، ومن مقبل على عمله ، مفسد له فى آخر عمره صار إلى النار ، من تحرى القصد خفت عليه الأمور ، يابنى كثر الزيارة تورث الملالة .

يابنى الطمأنينة قبل الخبرة ضد الحزم وإعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله ، يابنى كم من نظرة جلبت حسرة ، وكم من كلمة جلبت نعمة ، ولا شرف أعلا من الإسلام ، ولا كرم أعلا من التقوى ، ولا معقل أحرز من الورع ، ولا شفيع أنجح من التوبة ، ولا لباس أجمل من العافية ، ولا مال أذهب للفاقة من الرضى بالقوت ، ومن اقتصر على بلغة الكفاف تعجل الراحة . الحرص مفتاح التعب ومطية النصب وداع إلى التقحم من الذنوب والشرجا مع لمساوىء العيوب وكفى أدبا لنفسك ما كرهته من غيرك ، لأخيك مثل الذى عليك له ، ومن تورط فى الأمور من غير النار فى الصواب فقد تعرض لمفاجأة النوائب . التدبير قبل العمل يؤمنك الندم . ومن ومن استقبل وجوه العمل والآراء عرف مواقع الخطأ ، الصبر جنة من الفاقة ، فى خلاف النفس رشدها ، الساعات تنقص الأعمار . ربك للباغين من أحكم الحاكمين وعالم بضمير المضمرين . بئس الزاد للمعاد ، العدوان على العباد فى كل جرعة شرق وفى كل أكلة غصص . لا تنال نعمة إلا بفراق أخرى ما أقرب الراحة من التعب والبؤس من النعيم والموت من الحياة فطوبى لمن أخلص لله تعالى علمه وعمله وحبه وبغضه وأخذه وتركه وكلامه وصمته ، وبخ بخ لعالم علم فكف وعمل فجد وخاف التباب فأعد واستعد ، إن سئل أفصح وإن ترك سكت . كلامه صواب وصمته من غير عى عن الجواب والويل كل الويل إن بلى بحرمان وخذلان وعصيان واستحسن لنفسه ما يكره لغيره . من لانت كلمته وجبت محبته . من لم يكن له حياء ولا سخاء فالموت أولى به من الحياة . لا تتم مروءة الرجل حتى لا يبالى أى ثوبيه لبس ولا أى طعاميه أكل .

شىء من صفاته ومناقبه رضى الله عنه :

روى الإمام البخارى عن أنس بن مالك أن الحسن كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى ابن عساكر فى التاريخ الكبير عن شهاب بن خراش أنه كان فى صوت

الحسين غنة وكذلك روى ابن كثير عن شهاب هذا . والغنة صوت جميل .

وكان رضى الله عنه يحب الطيب وكان يلبس خاتما نقش عليه : حسبى الله وفى بعض الروايات : أن الله بالغ أمره . وكان له من الخيل الكريمة اليحموم وذو الجناح ولا حق وغيرها .

أما مجلسه فقد وصفه معاوية لرجل من قريش فقال له : إذا دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت حلقة فيها قوم على رؤسهم الطير فثم أبو عبدالله الحسين .

أما جوده فقد قال عنه محمد بن أبى طلحة الشافعى القرشى فى كتابه (مطالب السؤول فى مناقب آل الرسول) بأنه كان يكرم الضيف ويمنح الطالب ويصل الرحم وينيل الفقير ويسعف السائل ويكسو العارى ويشبع الجائع ويعطى الغارم ويشد الضعيف ويشفق على اليتيم ويعين ذا الحاجة وقل أن وصله مال إلا فرقه .

* * *

ومن طريف ما يروى فى هذة المناسبة أن إعرابياً أتاه عليه السلام فسلم عليه وقال: يا ابن رسول الله انى قتلت ابن عم لى وقد طولبت بالدية فهل لك أن تعطينى شيئاً. فقال له متفكها : يا إعرابى نحن قوم لا نعطى المعروف إلا على قدر المعرفة فقال : سل ما تريد

فقال رضى الله عنه : ما النجاة من الهلكة ؟ قال : التوكل على الله عز وجل . فقال وما الهمة قال الثقة بالله فسأله ما يزين المرء قال علم وحلم . قال فإن لم يكن قال أدب وخفض جناح للمؤمنين . قال فإن لم يكن قال فصاعقة من السماء تنزل فتذهب به .

فضحك عليه السلام وأمر له بعشرة آلاف درهم وقال له هذه لقضاء ديونك وعشرة آلاف درهم أخرى وقال هذه تلم بها شعثك وتحسن بها حالك وتنفق منها على عيالك فأنشأ الإعرابى يقول :

طربت ماهاج لى معبق ولا إلى مقام ولا معشق
ولكن طربت لآل الرسول فلذ لى الشعر والمنطق
هم الأكرمون هم الأنجبون نجوم السماء بهم تشرق
سبقت الأنام إلى المكرمات وأنت الجواد فلا تلحق
أبوك الذى ساد بالمكرمات فقصر عن سبقه السبق
به فتح الله باب الرشاد وباب الفساد بكم مغلق

وروى ابن عساكر فى التاريخ الكبير أن سائلا خرج يتخطى أزقة المدينة حتى أتى باب الحسين فقرع الباب وأنشأ يقول :

لم يخب اليوم من رجاك ومن ... حرك من خلف بابك الحلقة
أنت ذو الجود أنت معدنه ... أبوك قد كان قاتل الفسقة

* * *

وكان الحسين واقعا يصلى فخفف من صلاته وخرج إلى الاعرابى فرأى عليه أثر وفاقه فرجع ونادى بقنبر فأجابه لبيك يا ابن رسول الله قال ما تبقى معك من نفقاتنا قال مئتا درهم أمرتنى بتفرقتها فى أهل بيتك فقال هاتها فقد أتى من هو أحق بها منهم فأخذها وخرج يدفعها إلى الاعرابى وأنشأ يقول :

خذها فانى إليك معتذر ... وأعلم بأنى عليك ذو شفقة
لو كان فى سيرنا عصا تمد أذن ... كانت سمانا عليك متدفقة
لكن ريب المنون ذو نكد ... والكف منا قليلة النفقة

فأخذها الأعرابى وولى وهو يقول :

مطهرون نقيات جيوبهم ... تجرى الصلاة عليهم إينما ذكروا
وأنتمو أنتمو الأعلون عندكم ... علم الكتاب وما جاءت به السور
من لم يكن علويا حين تنسبه ... فما له فى جميع الناس مفتخر

قاموس التصوف

(٢)

اللفظ	المعنى
١ — الطريقة	هى السيرة المخلصة بالسالكين إلى الله تعالى من قطع المنازل ، والترقى فى المقامات .
٢ — السالك	هو الذى مشى على المقامات بحاله لا بعلمه ، وكان العلم له عينا .
٣ — السفر	عبارة عن القلب يأخذ فى التوجه إلى الحق بالذكر .
٤ — الوجد	ما يصادف القلب ويرد عليه من الأحوال .
٥ — التواجد	أدنى مرتبة من الوجد ، فهو استدعاء الوجد إذا ضعف .
٦ — الوله	إفراط الوجد .
٧ — الذهاب	غيبة القلب عن حس كل محسوس بمشاهدة محبوبه .
٨ — الذوق	أول مبادى التجليات الإلهية ، والشرب أوسطها .
٩ — الشاهد	ما تعطيه المشاهدة من الأثر فى القلب .
١٠ — الوارد	ما يرد على القلب من الخواطر المحمودة من غير تعمل .
١١ — الخاطر	ما يرد على القلب والضمير من الخطاب ربانيا كان أو ملكيا أو نفسيا أو شيطانيا من غير إقامة .
١٢ — الهاجس	الخاطر الأول وهو الخاطر الربانى الذى لا يخطىء أبدا .

اللفظ	المعنى
١٣ — اللطف	هو المنن والمنح الإلهية يختص الله عباده بها ، فيملأ قلوبهم علماً ونورا .
١٤ — اللطيفة	كل إشارة دقيقة المعنى تلوح فى الفهم لا تسعها العبارة .
١٥ — المجاهدة	محاربة النفس الأمارة . وكبح جماحها ، ومخالفة هواها ، وحملها على المشاق البدنية .
١٦ — التخلى	الإعراض عن كل ما يشغل عن الحق .
١٧ — الخلوة	محادثة السر مع الحق .
١٨ — التجلى	ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب .
١٩ — الجلوة	خروج العبد من الخلوة بالنعوت الإلهية .
٢٠ — الحقيقة	هى سلب آثار أوصافك عنك بأوصافه تعالى .
٢١ — الوقت	عبارة عن التجلى للعبد من الحق تبارك وتعالى .
٢٢ — جمع الجمع	الاستملاك بالكلية والبقاء عما سوى الله ، وهى مرتبة الأحدية فهو أعلا من مقام البقاء ، فيأخذ الرب العبد بعد بقائه فيسكره فى شهود ذاته ، فيصير مستهلكا بالكلية عما سوى الله ، فمنهم من يبقى بهذه السكرة إلى أن يموت ، ومنهم من يرد إلى الصحو عند أوقات الفرائض والقيام بأمور الخلق .
٢٣ — تجلى الأفعال	هو ما ينكشف بقلب السالك من أفعاله تعالى كما إذا تجلى الحق على عبد ينكشف له جريان قدرة الله فى الأشياء فيرى أن الله تعالى هو المحرك والمسكن .
٢٤ — كيمياء السعادة	التخلى عن الأوصاف الذميمة ، والتحلى بالأوصاف الحميدة .
٢٥ — الكشف	زوال الحجب عن عين القلب ويشاهد علوم الأنوار ومخبآت الأسرار .
٢٦ — الوصل	تلذذ القلب بشهود الحق بعد زوال الحجب الظلمانية والنورانية .

أسرار الحروف القرآنية
والأسماء الإلهيـــة

للعلامة الإمام السراج الطوسى

قال الشيخ الإمام : يقال . إن جميع ما أدركته العلوم ، وألحقته الفهوم ، ما عبر عنه ، وما أشير إليه ، مستنبط من حرفين من أول كتاب الله تعالى ، وهو قوله : « بسم الله ، والحمد لله » لأن معناه بالله ولله ، والاشارة فى ذلك أن جميع ما أحاط به علوم الخلق وأدركته فهومهم . فليست هى قائمة بذواتها ، وإنما هى بالله ولله .

وقيل للشبلى رحمه الله ، ما هى الإشارة فى الباء من « بسم الله » ؟ فقال : أى بالله قامت الأرواح ، والأجساد ، والحركات لا بذواتها .

وقيل لأبى العباس بن عطاء رحمه الله ، إلى ماذا سكنت قلوب العارفين ؟ فقال : لى أول حرف من كتابه وهو الباء من : بسم الله الرحمن الرحيم : فإن معناه أن بالله ظهرت الأشياء . وبه فنيت ، وبتجليه حسنت ، وباستتاره قبحت وسمجت ، لأن فى اسمه « الله » هيبته وكبرياءه ، وفى اسمه « الرحمن » محبته ومودته ، وفى اسمه « الرحيم » عونه ونصره .

فسبحان من فرق بين هذه المعانى فى لطائفها بهذه الأسماء فى غوامضها ! ! .

قال الشيخ الإمام : معنى قوله : بتجليه حسنت . يعنى بقبوله لها ، وبذا سميت الحسنة حسنة ، لأنه قبلها ، ولو لم يقبلها ما سميت الحسنة حسنة ، ومعنى قوله : باستتاره قبحت : يعنى برده لها ، وبذلك سميت السيئة سيئة ، ولولا ذلك لما سميت سيئة .

وقال أبو بكر الواسطى رحمه الله : كل اسم من أسماء الله تعالى يتخلق به إلا اسمه « الله » واسمه الرحمن لأنهما للتعلق دون التخلق ، وكذلك الصمدية ممتنعة عن الإدراك والإحاطة ، قال الله تعالى : « ولا يحيطون به علما » .

وقد قيل أيضا : إن اسم الله الأعظم هو : الله : لأنه إذا ذهب عنه الألف يبقى : لله . وإن ذهب عنه اللام يبقى : له : فلم تذهب الإشارة ، وإن ذهب عنه اللام الآخر فيبقى : هاء : وجميع الأسرار فى الهاء ، لأن معناه : هو : وجميع أسماء الله تعالى إذا ذهب عنه حرف واحد يذهب المعنى ولم يبق فيه موضع الإشارة ، ولا تحمل العبارة ، فمن أجل ذلك لا يسمى به غير الله تعالى

وعن سهل بن عبد الله التسترى أنه قال : الألف أول الحروف وأعظم الحروف وهو الإشارة فى الألف ، أى : الله الذى ألف بين الأشياء ، وانفرد عن الأشياء

وقال أبو سعيد الخراز : إذا كان العبد مجموعا على الله تعالى لا ينصرف منه جارحة إلى غير الله عز وجل ، فعندها تقع له حقائق الفهم عند تلاوة كتاب الله عز وجل الذى ليس مع الخلق .

وقال أبو سعيد : كلما بدا حرف من الأحرف من كتاب الله عز وجل على قدر قربك وحضورك عنده فله مشرب وفهم غير مخرج الفهم الآخر ، إذا سمعت بقوله « ألم ذلك » فللألف علم يظهر فى الفهم غير ما يظهر للام ، وعلى قدر المحبة وصفاء الذكر ووجوب القرب يقع التفاوت فى الفهم .

قال أبو سليمان الدارانى : ربما جاءت الآية خمس ليال فلولا أنى أترك الفكر فيها ما جزتها أبدا ، وربما جاءت الآية من القرآن فيطير معها العقل : فسبحان الذى يرده بعد ذلك .

وقال وهب بن الورد : نظرنا فى هذه الأحاديث والآداب فلم نجد شيئا أرق لهذه القلوب ولا أسد استجلابا للحزن من تلاوة القرآن وتدبره ؟

أبو حنيفة
بطل الحرية والتسامح فى الإسلام

تأليف الأستاذ عبد الحليم الجندى

عرض وتحليل

الأستاذ سعيد حمدة مكرم المحامى

لا يكاد الأستاذ الجندى يفرغ من مقدمته القصيرة ، حتى يعلن نبأ قدوم (الرجل) !. وإنه ليفعل كما يفعل المذيعون فى استقبال عظماء الرجال . فلا يفوته أن يرصد حركاته ويصورها . لقد : (أقبل السيد فى تؤدة ورزانة ، طويل القامة ، معتدل السمت ، عظيم المهابة ، حسن الطلعة واللحية ، تعلوه سمرة ، وفى وجهه أثر من السجود ، لا يتلفت اذا مشى يمنة أو يسرة ، يضوع المسك من أردانه على القرب وعلى البعد ... عليه بزة فاخرة تباهى بزوق صاحبها فى قماشها وطرازها . . . تعلوه قلنسوة طويلة سوداء . . . إنه النعمان بن ثابت المكنى بأبى حنيفة . . الرجل الذى أعلن الحرية فى كل مكان وفى كل زمان ، فى الماضى والحاضر والمستقبل ، وفى التجارة ، وفى الملك ، وفى التصرفات ، وفى حقوق النساء . وفى حقوق الرعية . .) !!

وبعد أن يحس الأستاذ الجندى أن كلماته المصورة قد حركت قلوب قرائه وعقولهم إلى لقاء هذا الوافد الجليل . يمضى فى استعراض لمحات من حياة (الرجل) لتستوى صورته الجسدية والنفسية أمام قارئه ناطقة الملامح والسمات .

لقد كان أبو حنيفة منذ صباه متوقد الذكاء بادى الالمعية حتى ليناشده الإمام الشعبى أن يختلف إلى العلماء . فلا يليث الفتى أن يقبل على حلقات علماء الكلام . يأخذ عنهم ويجادلهم حتى يحيط بأصول علمهم ومناهجهم ولكنه يحس فى أعماقه نزوعاً ملحاً إلى ميدان آخر أثبت المستقبل أنه أولى الميادين بعبقريته . وفى حلقة أبى إسماعيل حماد بن سليمان يجد ما يطمح إليه فينتظم فى سلك تلاميذه (يحفظ مسائله ويعيدها فى الغداة

فيخطىء الحفاظ ويصيب هو . ويسكت التلاميذ ويسأل هو . ويلح فى الجدل حتى ليحار وجه حماد) .. وحين لحق حماد بالرفيق الأعلى . وانتهت زعامة الحلقة إلى أبى حنيفة (وغدت أعظم حلقة بالمسجد . وأوسعها فى الجواب . وانصرفت وجوه الناس إليه . وأكرمه الحكام والأشراف) لم ينسه كل أولئك فضل أستاذه وذكرياته معه حتى ليقول : (انى لأعود لحماد مع أبوى) !. ولقد أسلف له حماد هذه العاطفة وهذا الود يوم سئل بعد غيبة طويلة عن الكوفة : إلى أى الأشياء كان أشوق قال : (إلى أبى حنيفة ، ولو أمكننى أن لا أرفع الطرف عنه لفعلت) !. .

ولم يقف وفاء أبى حنيفة عند أستاذ يعرف له فضله ، أو قريب يصل رحمه بل (كان جم الوفاء لجيرته وعشيرته) البر منهم والفاجر ! ! ولم يكن بر أبى حنيفة بالناس مجرد مجاملات حانية أو كلمات طيبة ، بل كانت يده أسبق بالخير من كل جوارحه : (ذلك تلميذ يسد خلته ، وتلك امرأة ذات خصاصة ، وهذا فقيه فى أسوأ حال . . إن مال أبى حنيفة إن لم يكن لهؤلاء وأشباههم فلا كان المال . . وإذا أنفق أبو حنيفة على عياله نفقة فليتصدق بمثلها ، وإذا اكتسى ثوباً جديداً ، فليكس بمثل ثمنه الشيوخ والعلماء) .

وما أطرف قصته مع أمه . وما أبلغ دلالتها ! ! أفتاها يوما فى بعض شأنها ، فلم تطمئن إلى فتواه !! وأبت إلا أن تستفتى (زرعة القاص) !! فحملها راضيا إليه . . وحين يستحى زرعة من أن يفتى أم فقيه الكوفة وهو بالكوفة يسر إليه أبو حنيفة أن أفتها بكذا . فيفعل زرعة . ويعود بها أبو حنيفة راضية مطمئنة . وهو أيضا راض مطمئن إلى بره بأمه حتى ولو سفهت رأيه ! ! بل إنه ليحملها أميالا إلى دار عمر بن ذر (ليصليا التراويح خلفه . وليستمعا إلى وعظ ذلك الزاهد الجليل) . . (فأى رقة — كما يقول الأستاذ الجندى — تفيض من هذا القلب الكبير . . وأى دار كتلك الدار يشيع فى أجوائها الزهادة والتبتل والإيمان . وأى ذوق كذلك الذى يتلمس على هذا النحو رضا السيدة التى حملته وأرضعته وقدمته هدية فاخرة للوجود) !!

وبعد أن يفرغ عبد الحليم الجندى من رسم الخطوط السريعة لصورة أبى حنيفة ، يقبل بذوق الفنان ومواهبه على أحداث حياته ، ينتقى من ألوانها ما يجلو ملامح صورته ، وما يعكس على هذه الملامح كثيراً من إصالة الفن وحرارة الحياة : فأبو حنيفة كان (تاجراً صناعته الفكر ومفكراً يعمل بالتجارة) . . وإذا كانت دنياه لم تشغله عن آخرة فإن الآخرة أيضا لم تنسه دنياه (فلم يكن ممن يجلسون إلى

الأرض ويرفعون أكف الضراعة إلى السماء ؛ فإن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، أو يمدونها إلى الأمراء ؛ فإن مال الأمير ثمن لنفس العالم) . والتجارة عند أبي حنيفة ليست شيئاً تأباه طبيعة العالم ، ما دامت قائمة على الصدق والأمانة والقناعة . (وهكذا دخل السوق مدخلا كريما ، فأضحى فيه من المجددين والمجدودين ؛ اختار لدكانه مكانا من أبرز أمكنة الكوفة ، فى دار ليست هينة على التاريخ ؛ هى دار عمرو بن حريث) . . (وإنك لتتصور الذوق فى ترتيب دكانه بما كان عليه فى خاصة شأنه ؛ حسن هيئة وبزة وتفكير وتعبير . . بل إنك لتكاد رغم بعد هذه القرون والمسافات تتنسم العطر يتأرج من أردانه ، وزوايا دكانه ، وتتصور النساء إذا أقبلن أو أدبرن بائعات أو مشتريات يغضضن من أبصارهن ، ولا يبدين زينتهن ، يدلفن إلى الدكان كأنما يفدن إلى الدرس ، ويفصلن عن دار بن حريث كأنهن يفصلن عن المسجد الجامع ، وكأنما كن من الدكان فى محراب) ! !

بعث إلى شريك حفص بن عبد الرحمن بمتاع فيه ثوب معيب فباعه بثمن كامل ، ويسوء أبا حنيفة هذا الصنيع ويأبى إلا أن يرد إلى الرجل ما غبن فيه ، فلما أعياه البحث أبى مرة أخرى إلا فصالا عن صاحبه والتصدق بثمن هذه البضاعة تحرجا من أن يتطرق إلى ماله حرمة بل شبهة حرمة ! ! وبعد أن تنفض هذه الشركة المبار يقول عنه حفص (جالست أنواع الناس من العلماء والفقهاء والزهاد والنساك وأهل الورع منهم فلم أجد أحداً أجمع لهذه الخصال من أبي حنيفة) .

ولم تستحوذ دار ابن حريث على كل نشاط أبي حنيفة واهتمامه ، وما كان فى وسعها أن تحتضن عبقريته وفى الكوفة مسجدها الجامع أو جامعة الكوفة ؛ فقد كان أبو حنيفة يقضى (فى المسجد) جل أوقاته وأجلها . . (هذه حلقة مسعر بن كدام للقرآن والحديث ، وتلك لابن شبرمه يقضى ويفتى ، وتلك لحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى قاضى الكوفة ، وتلك حلقات أخرى للشعر أو للرواية أو للأدب واللغة ولحفظ القرآن أو لذلك كله مجتمعا) . . . (وكانت إلى حوار تلك الحلق فى جامع الكوفة حلقة أخرى تحف بأبي حنيفة النعمان ، لا يقبل إليها من صومعة أو خلوة . ولكن من سوق الكوفة . أو دار ابن حريث أو من داره . أو من أسفاره . أى من صميم الدنيا) .

ولقد كان لمدرسة أبي حنيفة هذه منهجها وطابعها وتقاليدها . ولعل من أجل سماتها حرية الفكر المكفولة للأستاذ والتلميذ على السواء حتى ليقول عندما يفرغ من بيان

رأيه (رأينا هذا أحسن ما قدرنا عليه فمن جاءنا بأحسن من قولنا فهو أولى بالصواب منا) !! (يريد تلاميذه — كما يقول الجندى — على أن يتعلموا الحرية معه ليكونوا أحرارا مع غيره، فلن يتعلموا الحرية فى التفكير إلا إذا مارسوها فى التعبير، ولن يتعلموها مع الناس إلا إذا تعلموها مع الأستاذ وهو عندهم خير الناس) .. ومع هذا المنهج الحر فى التفكير والبحث لم تكن مدرسة أبى حنيفة متعجلة للغايات على حساب ما ينبغى للبحث العلمى من أناة وصبر وأمانة، فما أكثر ما يطول البحث بهم (فى المسألة الواحدة أياما وليالى أو شهراً أو أكثر من شهر) حتى إذا انتهوا فيها إلى رأى يطمئنون إليه هللوا مستبشرين مكبرين !! (لقد كان وجه العلم لديهم — كما يقول الجندى — هو وجه الله — جل شأن الله — يولون وجوههم شطره فى المحراب أو فى حلقة أبى حنيفة) .

ولقد كان التسامح من أبرز أصول مذهب الإمام (المفكر) : (تسامح بين الإنسان وأخيه الإنسان . وتسامح بين المخلوق والخالق .. ثم حرية فى الآراء والأشياء لايحدها إلا العقل والعدل وعمارة الدنيا) .

ففى العصر الذى كانت تموج فيه البصرة بألوان عجيبة من الأفكار والعقائد والجدل التزم أبو حنيفة جانب القصد والتسامح : فإذا غالى الخوارج فى مسألة الإيمان فقالوا أن لا إيمان لمن لم يعمل ما أمر الله به أو قارف ما نهى الله عنه، واندفعوا يكفرون مرتكب الكبيرة !!

وإذا تريث المعتزلة شيئا ما وقالوا بالمنزلة بين المنزلتين، فلا هو بالمؤمن ولا هو بالكافر بل هو بين بين أو هو فاسق فإن أبا حنيفة لاينحرف إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء . بل يلتزم منهجه فيقرر أن (الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) أما العمل فشىء آخر غير الإيمان، إن أداه المكلف ففضل من الله ونعمة، وإن لم يفعل ما أمر الله به أو ارتكب ما نهى الله عنه فهو مؤمن مقصر أو مخطىء أو مذنب، إن شاء الله عذبه بذنبه وإن شاء تاب عليه وعفا عنه (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) .

ولئن كانت العلوم من طب وفلك وفلسفة ورياضة ومنطق الخ قد نهلت من منابع غير عربية كالفارسية واليونانية والهندية فلقد كان الفقه ابن بيئته العربية الخالصة (ذلك أن الحضارة الإسلامية كانت تهتف بها غرزتها أن تخلد نفسها، وليست سبيلها إلى ذلك التخليد عمارة أو نحتا أو تصويرا كما صنع الرومان والمصريون واليونان،

فتلك كانت مفاخر دون معجزة الأمة الإسلامية التي يحتويها كتابها من شريعة وعقيدة ، وكان طبيعيا أن تندفع مواهب الأمة الكبرى نحو أول مقومات الإسلام وهو الشريعة .. وبهذا تناهت إلى حلقة الكوفة أصوات الفقهاء السابقين والمعاصرين فرددوها بلسان الزعيم الفكرى الذى قدرته العناية الإلهية لنصرة الدين) .

وكان من الطبيعى أن يفضى هذا التسامح وهذه الحرية إلى الأخذ بالقياس كأصل من أصول الشريعة وكان أبو حنيفة فارس هذا الفتح الفكرى الخطير (لم يتردد عن أن يقول «أرى» ورأيت ، ويحكم على المستقبل ويرفع سماء الفقه على عمد الحرية .)

وإذا كان قد عرف عن بعض خلفاء بنى العباس شطط فى السياسة ربما جنح بهم أحيانا إلى العنف والقسوة فإنهم كانوا مع هذا حريصين على أن يلى القضاء فى دولتهم ذو والعلم والورع وكان طبيعياً أن يطلب ابو جعفر إلى أبى حنيفة حمل أعباء القضاء ويشفق أبو حنيفة من أن ينوء كاهله بهذا العبء الخطير فيعتذر متلطفاً عن قبول المنصب الكبير فيأبى الخليفة مصرا ، وإذا أبو حنيفة هو الآخر يصر على الرفض وتكون أزمة بين عملاقين ، عملاق السياسة ، وعملاق الفقه ، يحلف الخليفة ليفعلن فيحلف أبو حنيفة ألا يفعل !! وإذن فليزج بأبى حنيفة فى السجن ، وليدربه زبانية القصر فى الأسواق ، وليضرب بالسياط على مرأى من الناس ومسمع ثم لتحدد إقامته فى منزله ولا يؤذن فى الجلوس إلى الناس وفتواهم (وهكذا حبس الرجل الذى ظلت الحرية نصف قرن اسماً هو مسماه ، والذى عاش سبعين عاما يصنع الحرية بيده صنعا ، ويخلقها خلقاً فى تلاميذه وتعاليمه) .

وتشاء الأقدار أن تكون هذه الفتنة آخر عهده بالدنيا فما لبث أن انتقل — رضى الله عنه — إلى الرفيق الأعلى !! .

وبعد فقد أحسست عند قراءة كتاب عبد الحليم الجندى عن أبى حنيفة حرارة التعبير الصادق عن النفس إذ تؤمن بموضوع البحث وتحتشد لدرسه وإخراجه ، حتى لتخال بين الرجلين صداقة جليلة .

وإذا كان الدكتور طه حسين قد أهاب به يوما أن (يفرغ لدرس الشافعى كما فرغ لدرس أبى حنيفة) فإننا نطمع منه فى أكثر من ذلك ، نتمنى أن لو وفق عبد الحليم الجندى إلى درس الأئمة الأربعة . فإن قلما — كقلمه — على هذا الثراء فى العربية وعلى هذا التدفق فى الموضوع وحول الموضوع لجدير بأن ينهض — قادرا — بهذه الرسالة الجليلة ؟

الغذاء الروحى

لجماعة السالكين إلى الله عز وجل

للأستاذ السيد محمد عبد الشافعى

يقول ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه فى حكمه « العبارات قوت لعائلة المستمعين وليس لك إلا ما أنت له آكل » . والعبارات جمع عبارة ، وهى : النطق اللسانى المعبر عما انطوت عليه ذوات المرشدين من معارف وحقائق . والقوت : ما يقتات به المرء إن كان حسيا فللجسد . وإن كان معنويا فللروح . وعائلة المستمعين : هى جماعتهم ، وإن شئت قلت : هى جماعة الفقراء السالكين إلى الله عز وجل الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . وهذه الجماعة هى أشد الناس حاجة إلى هذا الغذاء الروحى . إذ أنهم لا يهتمون بأجسادهم كما يهتمون بأرواحهم ، وما كانوا فى ذلك الفعل ظالمين لأجسادهم وإنما أخذوا بقول الرسول صلوات الله عليه « حسب بن آدم لقيمات يقمن بها صلبه » وقوله صلى الله عليه وسلم : « اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد » ولو أن إنساناً أراد سفر إلى بيت الله الحرام وكانت له دابة تحمله ، فظل طول وقته يعلف الدابة ويهيء لها السرج وينظف فى حوافرها حتى فاته وقت الحجيج وهو مشغول بدابته فلا يمكن يحكم عليه أحد بأنه كيس عاقل ، وإنما يكون حكم الكل عليه أنه أحمق . فكذلك المرء من أول يوم ولد فيه على سفر ، ودابته جسده . قال تعالى : (يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه) فهو إلى الله واصل ، ولا لقاء له بربه إلا فى يوم يقوم الناس فيه لله رب العالمين . فإن بلغت عنايته بجسده حداً شغله عن ربه ونفسه كان من الذين قال الله فيهم : (نسوا الله فأنساهم أنفسهم) لذلك لم تشغلهم مرتبة الحس بما فيها من ملذات عن معانى القدس وما فيها من عرفان ، تنكشف به كمالات الحق لهم ، وتزداد أرواحهم بها قوة وصفاء ، إذ أن فى ذلك حياتهم ، قال تعالى (أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها) وقال تعالى : (لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين) نعم فليس كل من يدب

على الأرض حيا عند الله ؛ وإنما الحياة حياة الإيمان والمعرفة . ومن جحد وكفر أو أعرض ونأى بجانبه فهو مقبور فى جسده وإن سار أمام أعين الناس على وجه الأرض . قال تعالى لنبيه مبينا (وما أنت بمسمع من فى القبور) فقوت الأرواح من كانت به حياة أشهى واعظم من قوت الحس للذى لا حياة فيه . وكما أننا نجد أن الأطعمة الحسية منها ما ينفع ومنها ما يضر ، وليس ما ينفع منها غذاء لفرد ينفع لفرد آخر إذا كان به علة ، بل نرى أنه قد يشتهى البعض مايشتهيه البعض الآخر وما ذلك إلا لاختلاف الطبائع والأمزجة . وما يترتب على ذلك من علل مع وفرة أنواع فى الطعام أمام الآكلين . فكذلك الأمر تماماً فى أقوات أرواح عائلة المستمعين : يدخل العارف فى بستان المعرفة فيقتطف من كل الثمرات ، ثم يخرجها للطالبين شرابا مختلفا ألوانه فيه غذاء وفيه شفاء . ولا شك أن ما يصلح من المعانى لفرد قد لا يصلح لفرد آخر ، وما يستسيغه فرد قد لا يستسيغه فرد آخر ولا يهضمه ، والأمر فى الكل حق، ولكن العلة فى الاستعداد والقبول . فالمريض يجد المرارة فى الشهد ، والمذكوم لا يشم رائحة . وقد تكون العبارة واحدة ، ثم تنقسم فى السمع إلى صورتين ، بحكم استعداد السامعين . والكل عطاء من الله (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) (وقد علم كل أناس مشربهم) (وكلا نمد هاؤلاء وهاؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) فلا يحصل المرء من المعرفة إلا بقدر استعداده مع كثرة الفضل ، كما لا يأكل صاحب الحس إلا ما يلائم شهوته مع كثرة الطعام هذا من وجه — ومن وجه آخر هو أن فى إطلاقه لفظ العائلة على جماعة المستمعين ما يفيد أنهم أسره واحدة يعولهم رجل واحد ، وذلك الرجل هو مرشدهم إلى طريق الحق ، والذى يقوم بتقديم ما يقتاتون به ، باعتبار أنه عائلهم ، فهو فيهم كما قال صلوات الله عليه فى الحديث المروى لأبى داود والنسائى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، إنما أنا لكم مثل الوالد لولده ، فهو لهم والد وعلى أبناء الرجل الواحد أن يكونوا إخواناً متحابين فى الله تعالى . ولم لا يكونوا إخواناً متحابين وليس بينهم من حطام الدنيا ما يحملهم على البغضاء ، إذ أنهم تعارفوا فى الله واجتمعوا عليه متآخين فيه أخوة صادقة لا يمكن أن تشوبها شائبة العداء يوم القيامة كما وصفهم الله تعالى ميزاً لهم بقوله (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) يجلسهم الله تبارك وتعالى يوم القيامة على منابر من نور والخلق فى الحساب ، كما وصفهم الصادق الأمين صلوات الله عليه . ولقد رسم كتاب الله تعالى لهذه الجماعة وما شاكلها أسساً خاصة ، هى بمثابة دستور إلهى يجب على كل منهم الأخذ به بحسب مرتبته وواجباته ،

سواء أكان الفرد بينه وبين نفسه ، أو بينه وبين إخوانه ، أو بينه وبين الوالد . كما بين أيضاً ما على الوالد من واجبات نحو أبنائه — أما واجب الفرد بينه وبين نفسه — فهو الخشية من الله تعالى فى السر والعلن — وأما واجبه بينه وبين إخوانه : فهو الإيثار المطلق فى حدود ما أحل الله — وأما واجبه مع والده — فهو الطاعة وحفظ الحرمة فى الحضور والغيبة . وأما واجب الوالد نحوهم : فهو الحرص التام على ما فيه سعادتهم وإرضاء ربهم رحمة بهم ورأفة ثم عليه هو واجب آخر نحو نفسه هو : ألا يأمرهم بما لا يفعل ، فإن فى ذلك مقت الله . قال تعالى (أتأمرون الناس بالمعروف وتنسوا أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) (كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) ثم لا يكون له ما هو قائم به علة إلا وجه الله تعالى ، أخذاً وتحقيقاً بقول الله تعالى : (قل لا أسألكم عليه أجراً إن أجرى إلا على الله) وعموم ما عليه كامل التحقق بقول الله تعالى لنبيه : باعتباره وارثاً للرسول صلوات الله عليه (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر) وهذا هو مجمل ما رسم الله وما يجب أن يؤخذ به فى جماعة السالكين إليه والمتحابين فيه والله يقول الحق ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ٥

ظهور الاسلام

للمستشرق الإنجليزى (ستيفن رانسيمان)

عرضه الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

فى الحركات الكبيرة التى غيرت وجه التاريخ ، لم يحدث أن أحرزت واحدة منها على اختلاف دوافعها ، من النجاح السريع المدهش ، ما أحرزه الإسلام ، ولمعرفة أسباب هذا النجاح ، والعوامل التى ساعدت على انتصار الإسلام وسرعة انتشاره ، لابد من الإلمام ولو سريعا بتاريخ حياة محمد عليه السلام الذى دعا إلى هذا الدين ، فقد يلون فى هذا جلاء بعض الأمور التى تهدينا إلى ما نحن فى حاجة إلى معرفته .

ولد النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) بعد ميلاد المسيح عليه السلام بحوالى ٥٧٠ عاما ، فى الوقت الذى أخذت الوثنية فى الانتشار ، وبدأت أفكار بعض المسيحيين تتبلبل .

فى ذلك الوقت أخذت فكرة القوم الذين يسمون الأحناف تظهر وتنتشر بين العرب ، كما ظهر الشعراء العرب الذين دعوا إلى الوحدانية كأمية بن أبى الصلت وزهير بن أبى سلمى وغيرهما .

كان كل هذا داعياً عقلاء العرب إلى التفكير فى أمر هذه الآلهة المتعددة وخاصة فى تلك المدينة التى تتناحم العالم المتمدين والتى تتمتع بمكانة ممتازة بين مدن شبه الجزيرة العربية ، لأن فيها ذلك البيت المقدس الذى كانت تتجه إليه أنظار كثير من الناس فى جميع أنحاء الجزيرة ، بل وفى بعض الجهات المحيطة بها .

وقد كان مولده فى أسرة من أسر هذه المدينة ، ذات مكانة مرموقة وشأن معروف ، إذ كان منها المشرفون على الكعبة والقائمون بالعمل فيها .

فلما بلغ سن الأربعين من عمره اختاره ربه ليبشر الناس بدينه الجديد ويدعوهم إلى التعاليم السماوية التى كادت أن تنسى بين الناس : وكان اول من وجه إليهم الدعوة هم أهله وعشيرته الأقربون .

وكل دعوة جديدة ، لقى محمد (عليه السلام) من قومه صلابة وعناداً ، ومكراً واستكباراً ، ولكنه ثابر على دعوته متحملا أذاهم ، حتى انضم إليه بعض أشراف قومه وكثير من المستضعفين الذين زادوا فى مسئوليته .

ولما اشتد عليه وعلى من اتبعه الإيذاء أمره ربه بالهجرة فى حوالى سنة ٦٢٢ ميلادية ، فهاجر من مكة إلى المدينة ، بعد أن ضمن له أنصاراً ينصرونه .

تلك الهجرة التى يؤرخ بها المسلمون تاريخهم .

هناك استجاب القوم لدعوته والتفوا حوله وأعانوه على نشر دينه سواء من قدم من مكة مهاجراً أو من هو من أهل المدينة ، وهؤلاء وأولئك استطاع التغلب على جميع من ناهضوه فى الجزيرة العربية ، وصار الزعيم الأكبر للبلاد العربية ، النافذ الكلمة المطاع الأمر .

ولما حضرته الوفاة بعد الهجرة بعشر سنوات ، كانت جيوشه قد أخذت أهبتها لتجتاز حدود الجزيرة العربية إلى ما جاورها من البلدان والممالك .

ولم تتوقف هذه الجيوش إلا بمقدار موت إنسان وتولى الأمر غيره .

وقد يدهش الإنسان للسرعة التى تم بها تولى الحكم بين هؤلاء العرب الذين كان ينشب بينهم القتال لأتفه الأسباب .

* * *

ولم تمض سنوات تزيد على عدد أصابع اليد الواحدة حتى سقطت الشام والعراق فى أيدى المسلمين .

وفى سنة ٦٥٠ م استولوا على مصر ، وأخذت الدولتان الكبيرتان اللتان كانتا تحيطان بالجزيرة العربية تنكمشان سريعا ، وقبل أن تأتى سنة ٧٠٠ م كانت الامبراطورية الإسلامية تمتد من المحيط الأطلسى غربا حتى نهر السند شرقا .

ولم يكتف المسلمون بذلك بل واصلوا زحفهم سنين طويلة حتى وقفت جيوشهم على أسوار القسطنطينية .

وقد عرف المسلمون كيف ينشرون دينهم إلى أن وصل إلى بلاد التركستان وأندونيسيا شرقا ، واقتحموا مجاهل أفريقيا تلك البلاد التى كانت لا تزال سرا

غامضا يخشى الاقتراب منها الكثيرون ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إنهم وصلوا إلى قلب أوروبا نفسها .

ونستطيع أن نرجع هذ النجاح السريع المدهش إلى أسباب منها :

عبقرية محمد :

المؤرخون الذين أرخوا للشرق يقولون إن للتاريخ الشرق خاصية تجعلنا نعجز عن تحديد الدوافع والنتائج التى ترتبت عليها .

والشرق مهد الديانات ومهبط الرسل ، وفيه ظهرت المعجزات ، فعيسى عليه السلام وديانته ومعجزاته ، وموسى وداود وغير هؤلاء كثير من الذين ضمهم الشرق وكان له شرف الحظوة بهم .

وقد لقى هؤلاء جميعا فى سبيل نشر دعوتهم كثيرا مما لا يقل عما قاساه محمد (عليه السلام) فى سبيل نشر دعوته . لقى هؤلاء من قومهم ومن غير قومهم العنت الشديد ، كما لقى محمد عليه السلام ولكن دعوات هؤلاء الرسل كانت تزحف ببطء شديد ، بل إن بعضها كاد أن يتوقف بموت نبيها ، بعكس ما حدث فى دعوة محمد ، فقد تم انتشارها على نحو عجيب فيه شىء كثير من خصائص المعجزة مما يجعلنا نقول مع المسلمين إن الله كان يريد حقا أن ينصر عباده المخلصين وأن يتوج أعمالهم بالنجاح .

وقد كان لشخصية محمد عليه السلام أكبر الأثر فى سرعة انتشار الإسلام إذ كان يعرف كيف يسوس دعوته على [illegible] ، ومن لم يستجب لها كان يرحب [illegible] بالعبقرية وقوة الشخصية .

فمحمد عليه السلام من أولئك العباقرة الموهوبين بين القلائل ، الذين ظهروا دون أن يخضعوا لقانون علمى أو قاعدة معروفة ، مما كان متعارفاً عليه بين بنى عصره ، فهو صاحب عبقرية فريدة فى نوعها ، ومع أنه كان يحس بعبقريته ، إلا أنه لم يكن مغروراً ككثيرين غيره من العباقرة الذين لم يبلغوا ما بلغ ، وبالرغم من وثوقه بنفسه وبإخلاصه البالغ وعقيدته الراسخة ، كان يتحلى بكثير من الصفات التى تحلى بها الأنبياء السابقون وحاول التحلى بها بعض الساسة الحاكمين .

ولم يترك محمد عليه السلام الحياة إلا بعد أن ترك لأتباعه قانونا وحكومة ، يرى

الباحث فيهما إلى أى مدى كانا يستجيبان لمطالب القوم ويتمشيان مع ضرورات حياتهم ويدفعانهم إلى العمل على نشر الاسلام والدفاع عنه .

وفى مقدور الباحث المنصف أن يقول إن محمدا ـ عليه السلام ـ كان من المعلمين الأفذاذ الذين عرفوا أطباع تلاميذهم ، ثم لقنوهم الدروس التى لم تكن فى يوم أسمى من تفكيرهم ولا أعلا من إدراكهم أو أكبر من عقولهم ، ولكنها خلقت منهم قادة ممتازين لأنها تدرجت معهم تدرجا منطقياً .

* * *

وإذا قلنا إن صفات محمد الشخصية النادرة هى التى استطاعت أن تحرز له هذا النصر المؤزر فى شبه الجزيرة العربية ، فكيف يمكننا أن نعلل أسباب الغزو اليسير اللين الذى قام به خلفاؤه من بعده ، واستطاعوا به أن يمتلكوا نصف العالم المتمدين وأن ينتصروا بجيوشهم القليلة على الجيوش الكثيرة العدد والعتاد ؟ والتى يقودها أناس شهد لهم التاريخ بالدراسة العسكرية والشجاعة .

كل ما كان يعرفه النبى محمد عن البلاد التى تقع خارج جزيرة العرب والتى تحيط بها جاءه عن أحد طريقين :

أما مشاهداته الشخصية يوم أن سافر مع عمه أول مرة ، وأيام أن كان يشتغل بالتجارة بين الحجاز والشام كغيره من العرب .

أو عن طريق المعلومات التى كان ينقلها اللاجئون من المسيحيين واليهود الذين فروا بدياناتهم من الاضطهادات المتعددة ، وجاءوا يستوطنون بلاد العرب .

فإذا كان محمد عليه السلام قد انتصر وحقق ماجاء من أجله داخل بلاد العرب وخارجها ، لأنه أدرك ببصره النافذ رغبات هؤلاء الناس ؛ فإن هذا يعتبر عملا لامثيل له .

وإذا كانت هذه الناحية تحتاج إلى دراسة فإن هناك نواحى كثيرة فى حياة النبى محمد تحتاج إلى مثل هذه الدراسة .

فنحن فى حاجة إلى أن ندرس كيف استطاع أن يبث هذا الإخلاص النادر وهذه الحماسة المتدفقة فى نفوس أتباعه الذين أصبحوا نماذج لهذه الصفات والمواهب النادرة التى تجلت فى الزعماء المسلمين الذين اصطنعهم محمد عليه السلام على عينه أمثال الخليفة عمر بن الخطاب والقائد خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ؛ وكثيرين غيرهم ممن ملأت سيرتهم سمع الدنيا وخلدهم التاريخ .

والحق إن هذا الحماس المتدفق وهذه السياسة الفريدة التى أذهلت الناس لم يكن يقدر لها النجاح فى نصف العالم المتمدين لو لم يكن العالم مستعداً لقبولها . ولو لم تكن تحمل فى جوهرها زادا طيبا صالحا من الحق والخير .

المجلس الصوفى الأعلى

وإصلاح الموالد

نظر المجلس موضوع الاحتفال بالموالد على اختلاف أنواعها والصورة التى تتسم بها والشوائب التى تحيط بها .

وبعد دراسة مستفيضة لهذا الموضوع لاحظ المجلس أن الجهات الحكوميه تؤجر أرضا مخصصة لاقامة الموالد لأصحاب دور اللهو والرقص وأصحاب الحرف وهذا من شأنه افساد الغرض الرئيسى من إقامة الموالد فضلا عن مخالفته لروح الاسلام وتعاليمه .

كما لاحظ المجلس أن كثيرا من الدخلاء على الصوفية وادعياء التصوف يقومون بمزاولة العادات السيئه المنافية للاداب الشرعية والتعاليم الصوفيه مرتكبين شر البدع والمنكرات .

ولكى تؤدى هذه الموالد رسالتها وتحقق الغرض من إقامتها :

قرر المجلس تخويل السيد صاحب السماحه شيخ مشايخ الطرق الصوفية سلطة المجلس فى الاتصال بالجهات الحكوميه لمنع كل ما يسىء إلى هذه الموالد وقدسيتها ، كما قرر المجلس تخويل سماحته سلطة المجلس فى إصدار القرارات اللازمة لتكوين لجان المراقبة بساحة الموالد وتطبيق مواد اللائحة الصوفية وفرض العقوبات المنصوص عنها بحق الخارجين على التعاليم الصوفية والدخلاء عليها وادعياء التصوف ، وتعتبر القرارات التى يصدرها سماحته بمثابة القرارات الصادرة من المجلس الصوفى الأعلى واجبه النفاذ ونهائية وملزمه لكل من يعنون نفسه بعنوان الصوفيه بدون الرجوع إلى المجلس .

لماذا لا أعبد الله؟

للأستاذ محمود شلبي

لست أدري ... هؤلاء المجانين الحمق ... الذين لا يسجدون لله ... لماذا لا يعبدون الله ؟ .

ماذا يكون جوابهم لو ألقيت في وجوههم هذا السؤال : لماذا لا تعبد الله ؟ .

أيقولون لأننا مشغولون ؟ . أيقولون لا نحب الله ؟ . أيقولون لا نؤمن بالله ؟ . أيقولون نحن لا نسجد لشيء لا نراه ؟ .

أم ماذا يقولون ؟ .

أنا أعلم كل ما سوف يقول هؤلاء الحمق ! .

أعلم أنهم سيتصايحون : وما شأنك بنا ... نحن أحرار في أمورنا .

وأرد عليهم ملء فمي : أأحرار في الكفر بالله ، والتنكر لله ، والانصراف عن الله ؟ .

كلا ... ما هذه بحرية ... إنما الحرية أن تكون عبداً محرراً لله ... قلبك لله ... عملك لله ... فراغك لله ، حياتك ومماتك لله ...

تلك يا أصحابي هي الحرية ... ويوم تحررون من العلائق والخلائق ، وتتخصون للرب تبارك وتعالى ، فأنتم أحرار ... أما إذا أنكرتم الله ... واتجهتم إلى غيره فأنتم عبيد ... عبيد المال ... وعباد الدنيا .

وليس أحمق في الدنيا من العاصي لله ... ولا أشد جنوناً من الكافر بالله .

يقول الله : « يا أيها الناس اعبدوا ربكم ... » ، ويقول هؤلاء كلا ... لا نعبدك لا نعبدك ولا نصدقك .

عجباً !! . أهكذا تبلغ الوقاحة بالإنسان ؟! .

ماذا كان وماذا سيكون ثم من هو الآن ؟ .

كان نطفة ... من ماء مهين ألقاها أبوه إلى أمه ... وما يدري عنها شيئاً ...

فمن ذا الذى تلقاها وأحياها وقلبها أطواراً وأخرجها إلى تلك الدنيا مخلوقاً خصيباً .

أإلله مع الله ؟ . أم هناك قوة غابت عنا هى التى صنعتك أيها المغرور ؟ .

إن كان هناك قوة غير الله صنعتك فى رحم أمك فنبئنى بها . . . أم هو الكبر والغرور هما اللذان يصدان [illegible] العليم الخلاق ؟ .

ثم ماذا سيكون هذا الإنسان المغرور ؟ .

إن المصير الرهيب ينتظر النساء والرجال . . . هنالك فى تلك الحفرة السوداء المظلمة المسماة بالقبر . . . سيستقر الإنسان . . . وليس بدافع عن أحد ما هو فيه من بلاء أو هناء . . . كلنا سوف نساق إلى القبر . . . ونتحول إلى جيف منتفخة يخرج من بطونها ريح بالغ الغاية فى النتن . . . ريح تعافه الكلاب والخنازير .

ودع عنك ما كان عليه الإنسان وما سيكون عليه ، ولننظر ما هو الآن فى لحظته هذه . . . ماذا هو الآن ؟ .

مخلوق ضعيف مسكين ، لا يطيق برداً ولا حراً ، ولا يصبر على أن [illegible] ساعة . .

لا يستطيع أن يصبر عن طعامه يوماً واحداً ، أو يصبر عن قضاء الحاجة يوماً كاملا .

مسكين إذا نام ، مسكين إذا قام ، مسكين إذا احتاج ، مسكين إذا استغنى .

لا تأمل الإنسان فى تقلبه بين أقرانه لأضحك الضحك المتواصل .

تراه مكباً على الدنيا ، يراوغ ويمكر ويقتل ويسرق من أجل الدنيا .

فتعجب . . . لو بذل هؤلاء المجانين معشار ما يبذلون من طاقات هائلة ، لو بذل كل إنسان معشار جهوده اليومى لله خالقه . . أى نعيم هائل يحدث فى نفس كل إنسان ؟ .

أى بركة وخير ينزلان بكل مخلوق لو أنزل الله من نقسه لحظات فى كل يوم وليلة ؟ .

ولكن . . . من يعقل هذا ؟ .

لا أحد يجب أن يعقل هذا ! . إن الناس سكارى ، قد أسكرتهم الشهوات ، وأمالت عقولهم النزوات ، يستلذون الضلالة ، ويمقتون الطاعة .

متى يعقل الناس أن الله عليهم حقا ؟ .

لا نحب أن نقول لهم ، إنهم خلقوا أصلا ليكونوا عباد الله ، فإن الذين لا يحبون الله، يغيظهم أن يقال لهم مثل ذلك المقال .

ولا نحب أن نقول لهم ما قاله الله « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » . فإن ذلك ثقيل على نفوسهم الخبيثة الغارقة فى الظلمات .

ولكن نقول لهم أنزلوا الله من نفوسكم ، ولوكما تنزلون آباءكم وأولادكم وأموالكم.

كم من الساعات يشغلكم المال والولد فى النهار ؟ .

ستقولون كل النهار . . . فأقول لكم : وأين الله من برنامجكم اليومى ؟ .

سيقولون لا مكان لله من حياتنا اليومية . . . فأقول لهم : يا للجحود . . يا للنكران ! ! .

تعيشون فى ملكه ، وتأكلون من رزقه ، وتمرحون فى أرضه ، ومع هذا كله لا يكون له منكم أو من وقتكم شىء ؟ .

ولكن هذا هو منطق المعرضين عن الله ! . بل قل هو منطق الحمير . . . الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، فانحطت مداركهم ، وضلت أفهامهم ، وأظلمت قلوبهم ، وتركهم الله لأنفسهم .

فيا أيها الذين تأبى قلوبهم السجود لله ، هلا جربتهم الإقبال عليه . . . إن الله يفرح فرحا شديداً لو أقبلتم عليه ، وهو لا يحمل لكم ضغنا ، ولا يريد لكم عذابا ، وإنما يريد فقط أن تكونوا ناسا . لا يريد الله أن يعنتكم أو يشق عليكم . . . ولكن يريد ليطهركم ويتوب عليكم . . .

جربوا السير إلى الله . . . ولو بتسبيحة . . . ولو بتأمل . . . ولو بركعة . . . ولو بأداء فريضة واحدة . . . ولو بصدقة يسيرة . . . ولو بخير قليل . . . جربوا وسوف يعطيكم الله عطاء غير محدود . . .

ومرة أخرى . . . أقول لهؤلاء . . . لماذا لا تعبدون الله ؟ . . .

ماذا يحول بينكم وبين الله ؟ .

إنها نفوسكم . . . وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . . .

الحب الايجابى للأولياء

هو أن نقتدى بهم خلقاً وعملا

لسماحة السيد محمد محمود علوان

نص الكلمة التى ألقاها سماحته فى الاحتفال الرسمى
بالليلة الختامية لمولد العارف بالله القطب السيد أحمد البدوى

أيها السادة : السلام عليكم ورحمة الله .

من أخلد الكلمات التى ترسم أفقا ، وتحدد هدفا ، وتصنع مبدأ كلمة الصادق الامين صلوات الله وسلامه عليه ، « ما تحابا اثنان فى الله إلا كان أحبهما لصاحبه أحبهما إلى الله » .

ثم يقدم لنا الرسول العظيم ، صورة حية مشرقة خالدة للمتحابين فى الله : إنهم ليحشرون يوم القيامة على منابر من نور وإن مكانتهم لتسمو عند ربهم ، حتى ليغبطهم الأنبياء والصديقون والشهداء .

ولقد اجتمعنا هنا اليوم ، فى هذه الساحة المباركة ، نحتفل بذكرى رجل من رجال الله ، أحببناه فى الله ، فأصبح هذا الحب عبادة لله ، وسبيلا إلى رضاه .

ولكن هذا الحب أيها السادة . . . يجب أن نخرج به من سلبيته العاطفية ، إلى واقع الحياة العملية ، يجب أن نتجه بهذا الحب اتجاها إيجابيا ، تتفعل به الأحداث ، وتتلون به الأعمال ، وتنطبع به الأخلاق ، ويتجلى مبينا حيا متلألأ فى حركاتنا واتجاهاتنا ومعاملاتنا .

فالحب الصوفى فى الله ، كل شىء فى التصوف ، ليس غاية فى ذاته ، وإنما هو وسيلة لغاية أكبر ، وهدف أسمى .

لقد أحببنا أولياء الله لأنهم كانوا النماذج العليا للمؤمنين العابدين العاملين لإعلاء كلمات الله ، المجاهدين فى كل ميدان من ميادين الإصلاح . وفى كل قطاع من قطاعات المجتمع ، وفى كل أفق من آفاق الإنسانية .

ولكى يكون حبنا لهم إيجابيا عمليا يرضى عنه الله ويتقبله ويباركه ، ويجعله نوراً فى الدنيا ، ورضوانا فى الآخرة : يجب أن نتخلق بأخلاقهم ، ونستمسك بمبادئهم ، ونهتدى بهديهم . فنجاهد كما جاهدوا ، ونقدم الخير للناس كما قدموا .

هذا هو الحب الإيجابى ، الذى يحبه الله ويباركه ويثيب عليه .

وعلى هذا الضوء نفهم التصوف ، ومبادىء التصوف ، وعلى هذا الضوء ، نبين اليوم للناس رسالة التصوف .

تلك الرسالة الإيجابية العملية ، التى تقدم منهجا للحياة كافة هو أعلى وأسمى منهج عرفه الوجود ، لأنه الأفق الأعلى للفكرة الإسلامية ، بكل ما تشتمل عليه من عزمات صاعدة ، وقوى بانية ، وعبادات عالية ، ومثل هادفة .

فليس التصوف ، هو هذه الصور الهزيلة المهزوزة ، التى نراها هنا وهناك من الأدعياء الذين خالوه أثوابا مزركشة ، وتمائم ملونة ، ودمدمات مبهجة .

وليس التصوف ، هو هذه السلبية الانعزالية الزاهدة القانعة ، التى لصقت بالأرض ، وسبحت مع الأحلام الغامضة وتركت عجلة الوجود تدور دون أن يحس بها أو ينفعل بحركاتها وأعمالها .

وليس التصوف ، هو هذه الفلسفة الكلامية التى تدور حول قضايا لا جدوى منها ، ولا غاية لها .

إن التصوف الذى ندعو إليه ، هو تصوف رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، الذى بعث ليتمم مكارم الأخلاق ، والذى قام الليل لربه حتى تفطرت قدماه ، وفى الوقت نفسه كان الإمام الأكبر للمجاهدين فى كل ميدان من ميادين الحياة .

تصوف الصدر الأول من الأئمة الهداة الذين أحالوا الوجود إلى محاريب للعبادة ، ومنارات للهدى ، ثم امتطوا أعنة الخيل ، فكانوا أكبر القوى الحربية فى الوجود ، وعكفوا على معاهد العلم الإيمانى الربانى كما كانوا سادة العلم التجريبى العملى ، فابتكروا وجددوا ، وصنعوا بأيديهم وبعقولهم ، مقومات الحضارة ، ومسببات القوة .

كان ذكر الله لديهم ، عبادة خالصة لله ، ومعراجاً إلى حبه ورضاه ، وفى الوقت نفسه كان قوة نفسية إيجابية بانية . . . كان طاقة من النور والعزيمة الأبية الهادفة يستمد منها الجندى التضحية والفداء . ويستمد منها الزارع العزم والمضاء ، والتاجر الصدق والأمانة ، والصانع التفوق والإتقان .

وهكذا قام المنهج الصوفى ، ليصنع الإنسان المثالى ، الإنسان القوى ، القوى بخلقه وبإيمانه وبجهاده ، وبإيجابيته الهادفة ، الإنسان الذى يتسامى بغرائزه ويصعد بفطرته ، إلى الأفق الأعلى .

الإنسان الذى استقام على الصراط المستقيم ، والطريق المضيء ، واتجه إلى الله ، ولم يغفل لحظة عن واجبات الحياة ، التى أعطاه الله إياها ، ليكون فيها سيداً وإماما .

فليس التصوف أيها السادة ، زهداً ولا توا كلا ، ولا سلبية ، ولا أزياء غريبة ، ولا فلسفات جامحة ، ولا تقاليد جامدة . . . إنه عبادة خالصة لله ، وعزيمة لا تضعف ولا تذل فى الحياة . . . إنه قوة نضال ، ضد الشر والانحلال والانحراف ، قوة تعاون ومحبة وسلام وإخاء .

قوة بناءة للشعوب ، تمدها بإشراقة الروح ، وسمو الخلق وفورة البأس ، وعزيمة النضال ، ومادة الحياة .

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه ولا بكاؤك إن غنى المغنونا
ولا اهتزاز ولا رقص ولا طرب ولا اختباط كأن قد صرت مجنونا
بل التصوف أن تصفو بلا كدر وتتبع الشرع والقرآن والدينا

أيها الســـادة :

تلك هى خواطر المولد الأحمدى الزكى على صاحبه السيد العارف بالله أحمد البدوى رضوان الله وبركاته .

ولقد كان أضاء الله ضريحه ، وخلد ذكره ، داعية من أصدق الدعاة إلى الله ، ومربياً من أكبر المربين العالميين ، وصوفياً مثالياً من المجاهدين العاملين .

ونظرة إلى تلك الساحة العامرة ، إلى هذه الألوف المؤلفة التى احتشدت فى كل مكان ، ترشدنا إلى مكانة السيد أحمد وأثره وما وضع الله له من حب وقبول فى قلوب المؤمنين .

أيها الســـادة :

فى هذه الليلة المباركة ، الليلة الختامية للمولد الأحمدى . الليلة العامرة بأنفاس العابدين والصالحين ، تتفتح أبواب السماء . ويستجاب الدعاء . . . فلنتجه جميعاً إلى الله سبحانه أن يتولى بتوفيقه وتأييده رجل السلام العالمى ، ورجل الإسلام القوى ، وزعيم العروبة الأبى قائدنا العظيم الرئيس جمال عبد الناصر .

ورضوان الله على صاحب الذكرى . . والسلام عليكم ورحمة الله .

الدين والحياة

القرآن ومنـــاهج المعرفة

للأستاذ حامد محمود الزفزى

من الأمانى السعيدة أن تصنع الشعوب مثالياتها . ومن حق كل شعب أن يناضل فى سبيل بلوغه هذه الغاية . وفى العصر الحديث تحاول الفلسفات القيادية سواء فى مجال الفكر والأدب أو فى مجال السياسة والاجتماع أن تخلق أيديولوجيات تحل محل المثاليات العتيقة ، وبمدى قرب أمة أو شعب من مثالياته أو تفاعله فى أيديولوجيته تكون قوته المتطورة ويكون كيانه الحى الذى يتعامل به مع الوجود .

والمساواة والإخاء والحرية ، وما يضمن عدم إهدار حق من الحقوق يساعد على التقريب بين الأفراد وبين مآربها فى حدود عدم الاعتداء . ذلك وغيره حقوق طبيعية كفلتها الدساتير وقامت من أجلها ثورات . وفى زحمة هذا العصر القلق يعلو الشرر المتطاير من أتون الحياة الصاعد . ولا نكاد فى هذه الظهيرة الحامية بحروبها الباردة نكاد لا نرى لهذه الحقوق الطبيعية أثراً فى الأخذ بيد الأمم المغلوبة . وانهاضها من كبوتها . لا نكاد نرى للعدل آثاراً حتى فى أروقة الهيئة العامة للأمم المتحدة التى هى آخر مطاف للجهود التى بذلت وتبذل من أجل العدل والحرية ومن أجل الوحدة العالمية وتلك الحقوق الطبيعية التى ينادى بها المشترعون والثوار وصانعوا الأيديولوجيات إنما هى [illegible] الواضحة والســـلوك السوى لاستجابة الإنسان للحياة . . . بهذا بدأ صاحبى حديثه واصلا ما انقطع من قصة الدين والحياة ثم عقب قائلا : فأين طريقة القرآن التى زعمت أنها خير منظم لاستجابة الإنسان للحياة .

قلت نعم يا صاحبى . القرآن الكريم هو كتاب الإسلام وطريق الحياة السعيدة . إذ هو يعلن فى أول نداء له . بجلاء وقوة ان أسباب الرقى وبلوغ الغايات النبيلة والأهداف السامية هى العلم . والتعلم « إقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان

من علق . إقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » . أول مبادئه العلم والتطلع إلى أسرار الحياة وخباياها . العلم بكل ما تتسع له هذه الكلمة من آفاق . الإنسان . المجتمع . الحيوان . النبات . الكون . الخ ويشير إلى أن هذا الاتجاه الحيوى بالنسبة لقوى الإنسان هو عماد وجوده المنتج وأنه بنفس السبب فضل على غيره من الكائنات فى استخلاف الأرض . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضها على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم . الخ هذه القصة التى بين فيها القرآن أن علم آدم بالاكتساب والخبرة وعلم الملائكة بالوحى والأول هو المطلوب للاستخلاف وعمارة الأرض .

لذلك كان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، ودرس علم خير من عبادة ستين سنة . أطلبوا العلم ولو بالصين . وكل ما يصل إليه العقل فى مجاله الإبداعى . الكونى والطبيعى والاجتماعى إنما نيط به خدمة البشرية على الإطلاق ، فليس ذلك لحساب أمة تدمر به أمة أخرى ولا أداة فى يد شعب يرهب به شعباً آخر . فنحن نشاهد اليوم آثار العلوم الذرية المرعبة وإحداثها الخوف والقلق فى نفس المجتمع العالمى الذى نتج عنه تفلسف رهيب كالوجودية مثلا .

وهكذا يرسم الإسلام للعقل طريق العمل ويدفعه إلى الكشف ولكن لحساب الخير العام والمصلحة الإنسانية .

ألست ترى يا صاحبى فى هذا تنظيما متينا وخطة صادقة وسلوكا قويما لاستجابة الإنسان . نحو التطلع وحب المعرفة . وهى غريزة فطرية وسلوك طبيعى . هذا نمط من التنظيم الدينى لاستجابة الإنسان للحياة .

ثم إقرأ معى قوله تعالى من سورة الحجرات . هذا النداء العام والتحديد التام لمكان الإنسانية فى نظر القرآن . « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله أتقاكم . . . الخ » .

إعلان الحقوق الطبيعية لبنى الإنسان . يا بنى آدم . المسلم وغير المسلم الأسود والأصفر والأشقر ، الرجل والمرأة . الصغير والكبير . يا أيها الناس أنتم متساوون فى البدء أنشأكم من الأرض بدءا بآدم من تراب وبعملية التسكرير من تراب الأرض بمصفاة الزرع والضرع ثم تكرنون حيوانات رقيقة جعلها فى قرار مكين . يخلقكم

فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق . ويقر فى الأرحام ما يشاء إلى أجل مسمى . ثم يخرجكم طفلا وهكذا المساواة المطلقة فى عمليات الايجاد والخلق هى بداية النظر إلى التقويم البشرى فى ضمان الحقوق وإعطاء الحرية والنداء بالمساواة .

إنا خلقناكم من ذكر وأنثى . ومهما تباعدت الدور واختلفت المناخات وتعددت الأزمنة . كل هذه العوامل التى ليست لها آثار إيجادية كونية وإن كانت لها رتوش فى الألوان واللغات والآثار .

جعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . إنما سرت عليكم سنة الحياة من التفريق والتباعد وصرتم شعوبا مختلفة اللسان والسلوك الاجتماعى . وقبائل وكل فى فلك من التفكير يسبحون . ليس ذلك لتتنازعوا لأن نتيجة التنازع هى الفشل . والنظرة السريعة يا صاحبى لنتائج هذا التنازع البشرى هى ما نحن فيه من آلام وتفرقة عنصرية وظلم واستعمار وحروب .

ولكن كما قضت الإرادة الخالقة بهذا التباين فى الأزمنة والأمكنة أشارت إلى أن سبيل التجمع والتظاهر فى موكب النور . والسير نحو الغايات النبيلة إنما يكون بالتعارف .

التعارف السلمى العام . تعارف فى المشارب والآمال . وتعارف فى اللغات والآثار . تعارف فى كل مرفق من المرافق التى كشف عنها شعب من الشعوب أو فكرة نبتت عند قبيلة من هذه القبائل . بهذا التعارف العام يسير الموكب ويبلغ الغايات . وقد فهم الرواد الأوائل من المسلمين هذا . فراحوا يغترفون من بحار التعارف الانسانى من هنود ويونان ورومان وصين . وفى بوتقة هذا الفكر العربى المسلم انصهرت هذه الاتجاهات وأخرج المسلمون فلسفات عملية إبداعية كانت القاعدة المثبتة التى شيدت عليها المخترعات الحديثة كالفلك والطب والرياضة . الخ . الخ .

ليس فى خطة القرآن احتكار لأية معرفة من المعارف فى أى مرفق من المرافق لأية أمة من الأمم أو شعب أو قبيلة . ليست هناك طبقة الغرب الابداعية فى الفكر وطبقة الشرق الخاملة المرتمية فى أحضان الغيب . ليس هناك احتكار للذرة لتستخدم ضد الانسان نفسه . ليس هناك احتكار لحساب الأبيض على حساب الأسود والأصفر .

صدقنى يا صاحبى أن هذه المبادىء العفنة التى ما زال العالم يتعثر بسبب وجودها تنافى طريقة التنظيم الدينى وتنافى مبادىء السلام الاسلامى .

فإ هذا النداء بالأخوة الانسانية . وأن الوجود على هذه الصورة من الأمم والشعوب والقبائل إنما كان لتنطلق صفارة الأمان . وصوت السلام . ونداء السلم وهداية السماء . لتهتف بهذا الجمع أن تعالوا يا بنى آدم فتعاونوا على البر والتقوى . وكونوا عباد الله إخوانا .

ثم أليس فى هذا النداء [illegible] التجمع رسم للسلوك السوى واستجابة خيرة لغريزة الاجتماع التى فى الانسان . فهم يقولون . إن الانسان كائن اجتماعى بالفطرة .

وإذا كانت الأسرة مجتمعا منزليا . والأمة مجتمعا شعبيا . فإنما الانسانية هى المجتمع البشرى الكبير .

وإذا كان بعض الفلاسفة محدثين وقدماء قد نادوا بالحكومة العالمية وتبلورت هذه الأفكار فى تكوين عصبة الأمم السالفة وهيئة الأمم الحالية فإنما صنعت أيضا هذه المنظمات بأيد استعمارية استغلالية . وما زالت تعلو صفحة اتجاهها . وحادثة فلسطين ومأساة العرب المنكوبين الذين شردهم الاستعمار الانجليزى الكريه ، وتقع هذه المأساة عديمة النظير فى التاريخ كله تحت عين العالم وفى عصر التمدن والتحضير . هذا من جانب .

ومن ناحية أخرى فإن هذه العالمية لم تبين لنا طريقة السلوك الذى رسمته لاستجابة الانسان للحياة . مما جعلها نهبا لأفكار فردية أو اتجاهات شعوبية أو قيادات ثورية . وليست فى هذه التيارات كلها مايدانى أو يقارب مبادىء الاسلام الذى تضمنته آيات القرآن الكريم .

وهنا كان صاحبى الدكتور ح . م قد اشرأبت نفسه لأن يقاطع حديثى قائلا نيس فى تقرير أن العلم هو الطريق البناء فى حياة الانسان وأن الأخوة الانسانية حق طبيعى . ليس فى هذا كله جديد ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فالاسلام يتساوى مع غيره فى إطلاق الشعارات .

قلت نعم يا صديقى . يوم أن قال الدين ذلك وانطلق صوته من جوف الصحراء يجوب العالم وينادى بالبحث والكشف . إنما جعله الوسيلة القيمة لبلوغ العابد هدفه . إنما يخشى الله من عباده العلماء . انظر يا صديقى كيف ربط بين ظاهر الحياة وباطنها بالعلم . والعقل . إن هذه الطريقة جديدة لم تكن معروفة لدى الأديان السالفة ، وليس منهجاً من مناهج العلوم السابقة . ثم مبدأ خطير قلب العالم كله

واستجابت له الأمم والشعوب . والغريب أنه لم يقتصر ذلك المنحى على جماعة دون جماعة . بل نلاحظ أن أكثر مفكرى المسلمين الأوائل كانوا من جنسيات غير عربية .

وهذا يخالف النظرة الارستقراطية فى الفكر الإغريقى والكهنوت الهندى والطبقى المصرى القديم والجمود الرومانى . وإذن فهو مبدأ جديد وما زالت جدته ظاهرة وحيوية غضه حتى يشاء الله .

أما المساواة فقد كانت شعاراً للثورة الفرنسية فى القرن السابع عشر رغم أن تحديد هذه المساواة وإعطاء صورة كاملة عنها كان وما يزال غير موجود ومعروف وقلدت الشعوب الحديثة والثورات الأمريكية والروسية . الخ قلدت هذا الشعار . ولكن إذا عرفت أن هذا النداء بالمساواة إنما دوى فى العالم فى القرن السابع وقد باتت معالمه ووضحت طريقه .

إذا كان الأمر كذلك وهو لابد كذلك فإنما يكون القرآن الكريم هو المنبع الفياض الذى يجب أن يرده القادة والمشترعون . وبعد فالقرآن مبادئ عامة تنشد السعادة الإنسانية وتحافظ على إيجادها بالطرق السلمية وتربط بينها وبين الآمال الكونية الكبرى وذلك بتعريف الإنسان مكانه من الوجود .

وإلى اللقاء فى مقال قادم إن شاء الله . ؟

الحقيقة المحمدية والعلم الحديث

علم النفس والسعادة الإنسانية

للأستاذ عيسى طه شحيبار

٢

وإذا كان الطب الحديث يعلى من شأن العزل بين المرضى والأصحاء . ومن شأن الحجر الصحى للوافدين على الدولة من غيرها حتى يطمأن إلى سلامتهم من أمراض تنتشر فى بلادهم فقد سبق لتقرير ذلك حكيم الإنسانية الأكبر ورحمتها الكبرى ورحيمها ورءوفها بأمر ربه يقول : ألا لا يوردن ممرض على مصحح ... قال ذلك فى مجال الأبل الصحيحة والجرباء ، والحديث كما ترى مطلق يشمل ذلك وكل نظير له فيما بين الحيوانات أو الإنسان .

ويعلن : إذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها ، فإذا كنتم فيها فلا تخرجوا منها ولما استشار عمر الصحابة فى الدخول على أرض فيها الطاعون أشاروا عليه بالعودة فقال أبو عبيده أتفر من قضاء الله ياعمر .. قال : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة نعم نفر من قضاء الله إلى قضاء الله . وذكر الحديث الذى سبق فقد حدثه به صحابى سمعه من الرسول فى ذلك . .

كذلك كل وباء وكل مرض تشيع فيه العدوى . . ومع هذا لا ينس أن يذكر الناس أنه ليس ثمة عدوى تصيب بنفسها دون إرادة الله العظيم فقال . لا عدوى ، ولا طيرة ثم بين أنه مع هذا ينبغى الفرار من المجذوع وأمثاله فرار الإنسان من الأسد حيث ربط الله الأسباب بمسبباتها . وإن كانت لاتصيب بنفسها وإنما بسابق إرادته وقضائه ، فليفر الناس من قضاء الله ، إلى قدر الله العظيم .. من قضائه فى مجال مرض ظاهر ، إلى قدره فى مجال عافية ظاهرة ، وما خفى من غير ذلك فالله لطيف بعباده .

تلك حكمة بالغة تهدى الناس إلى سعادة آمنة ، وحياة طاهره مباركه .. فهل نجد لها نظيراً فى كالها وهداها . فليدلونا عليها إن كانوا واجدين ..

الشفاء والرحمة :

لقد كانت حياته شفاء وعافية من كل داء ، ورحمته عامة لكل ما يحيط به حتى استحق لقب الرحمة من الرحمن فقال عنه : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين . ولن يخطر على بال مفكر من ألم أو شقاء . فى النفس أو فى العقل أو فى البدن فى الفرد أو فى الجماعة فى الخلق أو فى التفكير إلا وجد عند محمد بلسمه الشافى ورحمته الحانية .

لقد جاء والأمة العربية ترضخ تحت أعباء ثقال من التقاليد الفاسدة ، والعداوات الاجتماعية القاتلة ، والغارات المدمرة ، والأحقاد الدفينة ، والفرقة المتناهية فلم يمض عليه عشرون سنة فى دعوته حتى أعاد للجمع الشتيت وحدته ، وللنفوس صفاءها ، وللقلوب نورهداها ، وللعقول ضياء حكمتها وللأبدان شفاءها وعافيتها ، وللفرد أمنه وطمأنينته ، وللحياة روعتها وجلالها .

فقضى على الحروب والغارات والمنازعات وأبدلهم منها صلات ود ومرحمة معلنا عن شريعة أمته : « مثل المسلمين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الأعضاء بالسهر والحمى » .

وقضى على شرب الخمور والمسكرات ، الذاهبة بنور العقل ، وسكينة العشرة ومصدر كل الخبائث ، كما قضى على عادات الثأر ، وطامن من كبرياء المفاخرة فلا مفاخرة بالآباء فتلك عبية الجاهلية كما يقول ، إنما الرفعة للعلماء والكرماء وللأتقياء فى شريعته كما يقول ، كما قضى على المعاملات الباطلة التى تزرع الأحقاد وتثير الشقاء ، فمن غش فليس منه ، ومن احتكر قوت المسلمين فالله برىء منه ورسوله والمؤمنون ، ومن طفف الكيل والميزان وبخس الناس حقوقهم ويل له ثم ويل ، ومن تتبع عورات المسلمين تتبع الله عوراته حتى يفضحه ، ومن آذى الناس ولو كانوا ذميين تعرض للعقوبات فى الدنيا ، والله ورسوله خصيمه يوم القيامة ، ومن أكل أموال الناس بالباطل فإنما يأكل فى جوفه ناراً وسيصلى سعيرا ، ومن اغتال حقوق اليتامى فقد عرض أبناءه للضياع من بعده أو تحت سمعه وبصره يشقى به ، ومن كذب أو فجر فى خصومته أو ضيع الأمانة ، أو لعب بأوقات الناس وعقولهم فهو من المنافقين ومن انتهك حرمات الناس تعرض لأشد العقوبات فى الدنيا فإن سلم منها هنا أخذته من جميع نواحيه فى الآخرة ، وأبعد الناس عن رحمة الله

وأقربهم إلى عقوبته الظلمة والمجاهرون بالمعاصى ، والمفرقون بين الأحبة ، والملتمسون للبرءاء العيب ، والمشاءون بالنميمة ، ولا يدخل رحمة الله نمام ، وويل لكل همزة لمزة جماع للمال بخيل بالخير ولن يدخل جنة الله متكبر ، وكل عتل جبار ، وأشد الناس عذابا من تركه الناس اتقاء فحشه ، ولن يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه ، ومن لا يأمنه الناس ، ولا خير فى مسلم لا يرحم . ولا يألف ولا يؤلف ، ولا خير فى حياة الجهل والجهالة والضعف والذلة والصنعة والجبن ، والحقارة والصغار ، ومطرود من رحمة الله من يثير الفتن والأحقاد بين الناس ، ومن لا يصل رحمه فهو مقطوع من رحمة الله ، مضيع فى ذريته وعمره ، وليس بمؤمن من يمنع عن الناس رفده وخيره ، وآنية بيته ، ومن كانت عنده حوائج الناس فلم يقضها لهم فى أكرم معاملته ، فقد عرض نعم الله عليه للزوال ، ومن حكم فى قوم ، أو ولى شئون جماعة فلم يعدل وأشاع المحاباة والظلم فيهم ، وفتح يده للرشى ، فهو مطرود من رحمة الله والله ورسوله خصيمه يوم القيامة . .

ومن كان شريكا فلا يخن شريكه ومن كان على علم بخير فليدل الناس عليه ومن علم شرا فليبتعد عنه ولا يترك غيره يقع فيه بل يقـــدم لهم النصيحة . .

ومن وقع فى مكروه فلا يضجر ولا يسب الدهر ، ولا يملأ الحياة من حوله حقداً وظلاماً كل ذلك تجد له نصوصاً واضحة ومستفيضة فى النهى عنه فى شريعة الكمال عند محمد الكريم . .

وهكذا كل بغضاء واضطراب ومظهر ألم أو شقاء نهى عنه الرسول الكريم ووضع له فى شريعته من التحذير والإنذار ، أو من العقوبة الآجلة أو العاجلة ما ينتشل به الفرد والجماعة من الشقاء والآلام ، ويقودهم إلى حياة الدعة والسلام والآن لنقرأ له من آيات الرحمة التى جاء بها فى مقابلة هذه الآلام التى حذر منها وأنذر فيها . .

اقرأ قرآنه أو كتب حديثه فستجد نور الرحمة فى كل صفحة من صفحاته . .

أول قرآنه : بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . .

وترددت صفات الرحمة لرب محمد فى القرآن بصورة تجعل الإنسان يكاد يعتقد ألا عذاب .

فنعم الله جارية برحمته . وسعت رحمتى كل شىء . وما بكم من نعمة فمن الله .

وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها . . ألم تروا أن الله أسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة إن الله بالناس لرؤوف رحيم . وكان الله غفورا رحيما . قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا . إنه هو الغفور الرحيم . غافر الذنب وقابل التوب . ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ، فاغفر للذين آمنوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم . والملائكة يسبحون ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض ، هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور ، آلر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ، قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ؟

الحب الالهى فى التصوف الاسلامى

للدكتور محمد مصطفى حلمى

عرض وتحليل

للأستاذ مكرم الحامى

(إلى الذين يلتمسون نجوى السرائر ، وسلوى الضمائر ، ونور العقول ، وقوت القلوب) يهدى الدكتور محمد مصطفى حلمى رسالته عن (الحب الإلهى فى التصوف الإسلامى) ثم يمضى إلى موضوع بحثه لايلوى على أولئك المكابرين فى شأن هذه الدقائق ، وكأنه يؤثر على جدالهم أن يعرض على من شاء منهم صفحة الحب الإلهى — كما هى — تدافع عن نفسها وتدعو إلى رحابها من يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وكان أول ما يعنيه فى بداية بحثه هو التفرقة بين نوعين من الحب (تمكنا فى نفوس أصحاب النفوس الزكية ، وتقسما قلوب أرباب القلوب النقية ، وانطقا ألسنة أهل الأذواق الروحية من الصوفية بروائع من النظم وبدائع من النثر) . . هما الحب الإلهى من ناحية ، والحب النبوى من ناحية أخرى ؛ فمن المحبين من يتخذ موضوع حبه من الذات الإلهية أو الحقيقة العلية) ومنهم من يتخذ موضوع حبه (من النبى محمد صلى الله عليه وسلم أو من النور المحمدى أو الحقيقة المحمدية) ، وفريق ثالث يملك عليه مشاعره وجوانحه الحبان معا .

وللصوفية فى حديثهم عن خطرات أرواحهم ، وسبحات قلوبهم ، ونجوى ضمائرهم ، أسلوبان فى التعبير ؛ أحدهما يلتزم التصريح والبيان بحيث لايخطىء فيه المتأمل وجه الله ، أو الذات الإلهية أو الحقيقة العلية أو النور المحمدى أو الحقيقة المحمدية . . وثانيهما يجنح إلى الرمز والالغاز أو الإشارة والتلويح حتى ليحار العقل فى تقصى مذاهبه ! !

ولعل مما يزيد أمر أولئك الرمزيين غموضا أنهم يصطنعون فى حديثهم عن حبهم الإلهى أو النبوى تلك الألفاظ التى يحفل بها الشعر الغزلى فى الأدبين العربى والفارسى

على السواء (فالحب والصبابة والغرام ، والعشق ، والشوق ، والهيام ، والأسى ، والجوى ، والقلى ، والشجو والحزن ، والضنى ، والبكاء ، والنواح ، والأنين ، والفراق والبعاد ، والحنين ، والقرب ، والبعد ، والوصل والصد ، والحب ، والمحب ، والمحبوبة ، والأحبة ، والواشى ، واللاحى ، واللائم ، والعازل ، وما يتصل بهذا كله من أسماء المعشوقات كليلى ، وبثينة ، وسلمى ، وعزة ، والخمر أو المدامة ، وما يتصل بها من حان وألحان ، ومن طاس وكاس ، ومن مجالس شراب وندمان ، ومن سكر ونشوة ودنان كل أولئك وكثير غيره من الألفاظ الغزلية والخمرية تجدد منبثا هنا وهناك فى روائع الشعر الصوفى الإسلامى فى الحب الإلهى والمديح النبوى) !!

وإذاء هذا المنهج فى التعبير عن الحب الإلهى اندفع قوم من المستشرقين بل ومن المسلمين عامتهم ، وخاصتهم ، إلى رمى المتصوفة بالمروق والزيغ والإلحاد حتى ليضطر بعضهم كمحيى الدين بن عربى وابن الفارض إلى الدفاع عن موقفهم تارة بشرح شعرهم وأخرى بالقاء بعض الضوء على مناهج التعبير عن الحب الإلهى ؛ وكيف يؤثر أحيانا أسلوب الإشارة أو الرمز (لما تمتاز به الإشارة من اللطافة والرقة والدقة التى تجعلها أكثر اتساعا للحقائق الروحية ، والدقائق القلبية من العبارة) وهى بعد من المادية والكثافة بحيث تعيى عن بيان هذه التجليات والاشراقات والفيوضات . وقد يؤثرها بعضهم حفاظا على الأسرار الإلهية عن الابتذال ، وضنا بها على من ليس خليقا بفهمها وتذوقها .

أما ابن عربى فيعلل انتهاج أسلوب الغزل والتشبيب فى تراث المحبين الالهيين تعليلا نفسيا طريفا ، فالنفوس — فيما يرى — أكثر استجابة وأسرع تأثرا بحديث الحب والمحبين وليس ثمة نفس إلا ولها من رصيد هذه العواطف الإنسانية الخالدة نصيب قليل أو كثير ! !

وبعد أن يستعرض الدكتور محمد مصطفى حلمى بعض مصادر التراث الصوفى — شعره ونثره — يؤكد أن هذا التراث الروحى (الذى أودعوه أذواقهم وأحوالهم وأسرارهم وأنوارهم ومكابداتهم ومجاهداتهم . هو خير المنابع التى تستقى منها الفلسفة الروحية الإسلامية الخالصة ، وما تنطوى عليه هذه الفلسفة من المعانى النفسية والميتافيزقية والخلقية والاجتماعية ، التى إذا حققها الإنسان فى صلته بربه من ناحية ، وفى صلته بأشباهه من ناحية أخرى ، فقد حقق المثل الأعلى الذى تطمح إلى تحقيقه الإنسانية بأدق معانيها وفى أسمى غاياتها ومراميها) .

ثم يعرج الدكتور حلمى على (تعريفات الحب وألوانه) عند الصوفية فهم يعرفون المحبة تارة بشرط صحتها وأخرى بالحديث عن حقيقتها ، وثالثة عن حال المحب ، وكل هذه التعريفات على اختلافها — (تظهر — كما يقول الدكتور حلمى — على أن الفكرة الرئيسية المشتركة بينها ، والمحور الذى تدور عليه ، والغرض الأسمى الذى ترمى إليه ، هو فناء الإنسان عن نفسه ، وإنكاره لذاته ، وبقاؤه فى ربه ، وإثباته لربه ، بمعنى أن يتجرد عن شهوات الحس ويتخلص من نزوات النفس ، ويقبل بكل همته على الله ، ويعرض عن كل ما سوى الله) :

وليس الطريق إلى الله ميسور العبور لكل طارق إلا أن يكون من أولى العزم والإخلاص فيأخذ نفسه بسلسلة طويلة جادة من المجاهدات والرياضات والمكابدات ، وفى الطريق إلى الله سيجتاز ألوانا من المقامات والأحوال ، فمن توبة ، إلى صبر ، إلى شكر ، إلى رجاء ، إلى خوف ، إلى زهد ، إلى توكل ، إلى رضا ، إلى محبة ! !

والمحبة سواء كانت حالا عند بعض الصوفية أو كانت مقاما عند بعضهم — فهى ذات أوجه بصفة عامة ؛ فقد تكون من وجه حب الله للانسان ، ومن وجه آخر حب الإنسان لله ، ويضيف لونا ثالثا من الحب هو حب الله لأن يعرف .. ويقول — ابن عربى — عن هذا اللون (لولا المحبة ماصح طلب شىء أبدا ، وهذا سر « فأحببت أن أعرف » فى الحديث القدسى ، ولا كانت حركة من شىء إلى شىء ، فالمحبة أصل فى باب وجود الأعيان وفى باب مراتبها ومقاماتها) .

وتبلغ المحبة ذروة شفافيتها واشراقها حين تبرأ من كل عرض أو غرض ، من أية رغبة أو رهبة ، أى حين يكون الحب خالصا لوجه الله ، لا خوفا من عذابه ولا طمعا فى ثوابه ، وإلى هذه القمة انتهت رابعة وابن الفارض وأمثالها من المحبين .

ويطوف بنا الدكتور حلمى فى جولة سريعة على بعض قمم المحبين فلا يقف طويلا عند ما تحفل به من قيم فنية وأدبية بقدر ما يقف عند ما تشعه من سمو انسانى وسنا قدسى ولمحات مضيئة قادرة على الكشف عن بعض اسرار التصوف الاسلامى بصفة عامة والحب الالهى فيه بصفة خاصة .

ويعرض الدكتور حلمى بعد ذلك لفكرة الجمال المطلق والحسن المقيد عند الصوفية فالمحب فى عرفهم إن هو إلا عارف بربه بقدر ما هو محب له . . والمعرفة عند الغزالى . . هى معرفة الحضرة الربوبية المحيطة بكل الموجودات . . ويقول أيضا أن من أحب غير الله لا من حيث نسبته إلى الله فذلك لجهله وقصوره فى معرفة الله

تعالى . ويعرف الله استدلالا بفعله على صفته ، وبصفته على اسمه ، وباسمه على ذاته .. وقد يعرف الله شهودا وعيانا وتلك هى أرقى درجات المعرفة . . . وكذلك الشأن فى الحب فبين الحب الإلهى المطلق والحسن الكونى المعين يترقرق الحب الإلهى على تفاوت فى المستويات ؛ فمن حب للأفعال الإلهية ، إلى حب الصفات الإلهية وتلك بدورها هى أرقى درجات الحب .

فإذا استغرق الصوفى هذا الجمال المطلق أضاء يقينه بالمعارف اللدنية فيرى ما لا عين رأت ويسمع مالا أذن سمعت وينعم بما لم يخطر على قلب بشر ! !

ثم يمضى الدكتور حلمى فى عرض تاريخى ومذهبى للحب الإلهى فى التصوف الإسلامى منذ بدأ بكاء وتضرعا وخشية إلى أن انتهى أنسا وشوقا ومحبة ! ! فبعد أن كان عون بن عبد الله والحسن البصرى وأمثالهما يهتفون من الأعماق (ويحى . . أو ويلى) وقد أمضهم الشعور بالإثم ، وأفزعهم تصور العذاب إذا برواد آخرين من الزهاد والخشاع والمتبتلين يضربون على أوتار جديدة فى القلب الإنسانى فتنساب ألحانها رقراقة هادئة مطمئنة . . إنها ألحان الأنس والرضا والنشوة . . ألحان النفس المطمئنة ! ! وهل هناك أجمل من مناجاة رابعة لربها (أحبك حبين) ! وهل تتصور حديثا بين حبيبين أرق وأبسط وأدق من حديث ذى النون حين يقول لله (أنت لى منى) ! وهل رأيت مكانا أسمى وأعز من المكان الذى ينزل فيه الحلاج محبوبه فيسر إلى الله فى همس عابد (أنت بين الشغاف والقلب) . . وهل رأيت اطمئنانا إلى مكانة المحب لدى حبيبه يبلغ اطمئنان ابن الفارض حتى ليقول فى شىء يشبه الزهو (يحشر العاشقون تحت لوائى) ! وهل رأيت عمقا وإحاطة على الصورة التى يدين فيها ابن عربى بدين الحب !!! .

وبعد فقد حدثنى الصديق الأستاذ طه عبد الباقى سرور أن الدكتور محمد مصطفى حلمى من القلة المعاصرة المختلقة بكثير من أخلاق الصوفية ، وحين صحبته ساعات فى رحلته الممتعة فى رياض (الحب الالهى فى التصوف الاسلامى) احسست أنا الآخر روحا حارا مؤمنا يترقرق فى كلماته ولمحاته وخواطره ، حتى لأحسب أن أشد الناس انكارا المثل هذه الدقائق والمعانى واللفتات الروحية أو الصوفية — لا يملكون — وقد بدأوا قراءة هذه الرسالة — إلا أن يمضوا فى قراءتها حتى آخر كلماتها فى تقدير ربما انتهى بكثير منهم إلى الإيمان بهذه الالوان الفريدة من العواطف وهذه الصور المجنحة من التعبير .

أخبار صوفية

مولد القطب السيد البدوى

احتفل الإقليم الجنوبى من الجمهورية العربية بمولد القطب الكبير السيد أحمد البدوى فهرعت مئات الألوف إلى مدينة طنطا ليشتركوا فى الاحتفال برجل من أكبر الدعاة إلى الله ومن أعلام التصوف الذين أضاءوا الطريق أمام الجماهير ليشقوا طريقهم فى الحياة على هدى الرسول وخلقه ، وآداب القرآن ونوره .

وكانت مدينة طنطا طوال أيام المولد المبارك مدينة متلألئة مبتهجة عامرة الأسواق بالتجارة عمرانها بذكر الله والصلاة على رسوله .

وقد امتلأت ساحة المولد بعشرات من السرادقات التى أقامها رجال الطرق الصوفية يطعمون الطعام ، ويرشدون الناس ، ويقيمون حلقات الذكر ، وندوات الوعظ .

وفى الليلة الختامية للمولد طاف السيد عمر زعفان محافظ الغربية ونائب السيد رئيس الجمهورية فى احتفالات المولد ، بسرادقات الطرق الصوفية مهنئا ومشاركا وبصحبته سماحة السيد محمد علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية وكبار رجال المحافظة .

كما وجه سادته الدعوة إلى الصفوة المختارة من رجالات العروبة والإسلام لحضور الحفل الرسمى لليلة الختامية حيث ألقى سماحة السيد محمد علوان الكلمة الصوفية الرائعة التى يطالعها القراء فى هذا العدد .

ثم أطلقت الصواريخ ابتهاجا واحتفالا بمولد القطب الكبير .

مولد القطب السيد الدسوقى

احتفلت محافظات الوجه البحرى من الإقليم الجنوبى بمولد العارف بالله الإمام السيد ابراهيم الدسوقى حيث تدفق عشرات الألوف إلى مدينة دسوق مشاركين لأهل المدينة فى احتفالهم بمولد قطبهم الكبير .

ولقد لبست المدينة أزهى أثوابها ، وبدت فى أجمل أعيادها ، فقد أولى السيد

حمدى عبيد محافظ كفر الشيخ هذا المولد العظيم عنايته ورعايته إجلالا لذكرى إمام دينى اهتدى بطريقته الملايين ، وتعلقت به قلوب المؤمنين .

وفى صبيحة الليلة الختامية سافر إلى دسوق سماحة السيد محمد علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية للإشتراك وللإشراف على المولد ، وبصحبته الأساتذة السيد ميرغنى الأدريسى شيخ الأدارسة ، والسيد محمود كامل يس شيخ الرفاعية ، وطه عبد الباقى سرور ، ومحمود الكولى .

وفى مساء هذه الليلة أقيم الحفل الرسمى الذى دعا إليه السيد محافظ كفر الشيخ والذى شهده كبار رجال المحافظة ، وأهل العلم والأدب ، وأعيان الإقليم والأقاليم المجاورة ، حيث ألقى سماحة السيد محمد علوان ، كلمة موجهة رائعة ، تحدث فيها عن رسالة التصوف التاريخية والنهضة المتطورة النامية التى يشهدها التصوف اليوم . كما تحدث عن مكانة العارف بالله الإمام ابراهيم الدسوقى ومدرسته الصوفية ، ومنهجه فى التربية والسلوك ، والقدوة الحسنة التى نجدها دائما فى سيرته وأخلاقه وكلماته ومعارفه .

واختتم سماحته كلمته بالتوجه الى الله سبحانه أن يشمل بتأييده وتوفيقه الرجل الذى بعث الحياة والقوة فى كل مرفق من مرافق حياتنا . الرجل الذى تلاقت عنده أحلام العروبة وآمال الإسلام الرئيس المجاهد جمال عبد الناصر .

ثم طاف السيد المحافظ وبصحبته سماحة السيد علوان وكبار رجال الإدارة على سرادقات مشايخ الطرق بساحة المولد مهنئا ومشجعا .

وأعقب ذلك إطلاق الصواريخ النارية لأول مرة فى ساحة المولد ، مما يوجب علينا أصدق الشكر والتقدير للسيد محافظ كفر الشيخ على هذه العناية الطيبة بالمواسم التى لها جلالها ومكانتها فى قلوب الجماهير ومشاعرهم .

قرارت المجلس الصوفى الأعلى

● أصدر المجلس الصوفى الأعلى بجلسته المنعقدة مساء يوم الأثنين ٧ نوفمبر سنة ١٩٦٠ القرارات والمبادىء الآتيه :

أولا : بالنسبة لكثرة طلبات الإيقاف والعزل المقدمة من السادة المشايخ للمشيخة العامة لاعتمادها وتنفيذها .

رأى المجلس أن يوجه النظر إلى أن الأساس الصالح الذى يستقيم عليه حال الخلفاء والنواب فى جميع الطرق هو الاختيار الطيب الحكيم والتمهل فى التعيين فى مبدأ الأمر وقيام المعاملة بعد ذلك على أساس مدعم من الانصاف وحسن التوجيه والتقوى والصلاح .

ثانياً : بالنسبة لكثرة الشكاوى والتظلمات من الإيقاف والعزل .

رأى المجلس أنه من الضرورى لأجل تنظيم هذه العملية على أساس من العدالة — أن يكون كل طلب من الطلبات المقدمة من السادة المشايخ مبنى على تحقيق دقيق مدعم بالأسباب التى بنى عليها طلب الإيقاف أو العزل كما قرر المجلس أن أقل مدة لسريان الإيقاف والعزل وقبول طلب إطلاق سراح الموقوفين هى سنة كاملة ، وإذا دعت الضرورة لطلب رفع الإيقاف وإطلاق سراح الموقوف قبل المدة المقررة فيعرض الطلب على المجلس مشفوعا بالأسباب .

ثالثاً : بالنسبة لقيام بعض السادة المشايخ بتعيين بعض رجالهم فى وظائف وكلاء لهم ومراقبين فى المراكز والمديريات ، ونظرا لأن هذا الإجراء مخالف لما نصت عليه لائحة الطرق الصوفية وما جرى عليه العرف من أنه لا يوجد وكلاء إلا لوكلاء المشيخة العامة .

قرر المجلس ضرورة التزام السادة المشايخ بما نصت عليه اللائحة والاقتصار على ما جرت به العادة والتقليد فى جميع العهود وعدم عنونة رجالهم بلفظ وكلاء والاقتصار على تعيين الخلفاء والنواب ، ويوجه المجلس نظر السادة وكلاء المشيخة العامة إلى عدم الاعتراف بهذه الوظائف المخالفة للائحة .

رابعاً : بالنسبة لقيام بعض نواب الطرق الصوفية ورجالها بالتدخل فى اختصاصات وكلاء المشيخة العامة متخطين حدودهم ، وبالنسبة لمخالفتهم التعليمات والنظم المعمول بها وحينما يطلب إليهم الالتزام بالنصوص والتعليمات يقومون بأعمال الشغب والفوضى ضد وكلاء المشيخة .

قرر المجلس ضرورة قيام السادة المشايخ بتوجيه نظر رجالهم من نواب وخلفاء ونقباء إلى ضرورة احترام تعليمات المشيخة العامة ووكلائها ووجوب التعاون الصادق مع السادة الوكلاء فى كل ما يتعلق بأعمال الصوفية وتثبيت دعائمها ومحاربة البدع والمنكرات وعدم التدخل فى أعمال وكلاء المشيخة واختصاصاتهم .

خامسا : ليكن معلوما لدى الجميع أن الأالمجلس الصوفى على قرر بجلسته المنعقدة مساء الاثنين ٧ من نوفمبر ١٩٦٠ ايقاف كل من محمد محمد خليفة العجمى الخليفى الرفاعى ببندر المنصورة ، وإبراهيم عبد السلام نائب الطريقة الشيبانية التغلبية ، وعبد الرحمن أبو ضوه نائب الطريقة القادرية القاسمية بالدقهلية .

وذلك لخروجهم على الآداب والتعاليم الصوفية ومخالفتهم للائحة الطرق الصوفية وتكوينهم لما يسمى « المجلس الصوفى بالمنصورة » ، وقد أخطر السيد وكيل المشيخة العامة بالدقهلية لتنفيذ قرار المجلس إداريا ومنعهم من مزاولة أى نشاط صوفى .

قرارات إدارية

١ — قرر صاحب السماحة السيد شيخ مشايخ الطرق الصوفية تعيين السيد حامد عبد الجواد المصرى من أعيان جرجا وكيلا للمشيخة العامة بمركز و بندر جرجا .

٢ — تثنى المشيخة العامة على السيد عبد العزيز صيام وكيل المشيخة العامة بمركز وبندر سمنود على جهوده التى بذلها فى الاحتفال بالمولد النبوى الشريف وترجو له دوام التوفيق .

مبادىء وتعليمات عامة لرجال الطرق جميعا

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : « وأن هذا صراطى مُستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

لما كانت الطرق الصوفية تستمد مبادئها من هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنها بذلك خير موصل إلى خير الدنيا والآخره كما أنها تهذيب للنفوس وتصفية للسريرة وتطهير للقلوب وتدعيم للاخلاص المطلق نحو الله جل شأنه ، ومن أهم المبادىء التى قامت عليها الصوفية عداؤها للبدع التى هى وسائل المرتزقة والدخلاء على الصوفية .

وحرصا منا على تثبيت المبادىء الصوفية الصحيحة نوجه نظر جميع رجال الطرق إلى ضرورة اتباع التعليمات والقواعد الآتية والعمل بها بكل دقة وعناية . هذا وقد قررت المشيخة العامة الضرب بشدة على يد كل من تسول له نفسه الخروج على هذه القواعد .

أولا فى مجال الذكر

١ ــ الذكر إنما هو ذكر الله سبحانه وتعالى وتسبيحه وتمجيده بذكر أسمائه الحسنى على أكمل حال من الخشوع والوقار والنطق بأسماء الجلالة يجب حتما أن يكون تام الحروف مستكمل اللفظ على ما ورد فى القرآن الكريم .

٢ ــ لا تعقد مجالس الذكر فى غير الأماكن الصالحة للعبادة ، ويجب على الذاكرين بالمساجد أن يحافظوا على النظام حين الدخول بأى مسجد للذكر وحين الخروج منه حرصا على حرمة بيوت الله وآداب الذكر .

٣ ــ لا يعقد مجلس ذكر فى مكان عام إلا بحضور خليفة مجاز من شيخ طريقة مقرر رسميا حتى يحفظ مجالس الذكر عن الأمـــور المنافية للاداب الشرعية والتعاليم الصوفية .

٤ ــ ممنوع منعاً كليا البدع التى ترتكب خلال الذكور من قرع الطبول وضرب الجسم بالسلاح وأكل الحشرات واستعمال الآلات المنوعة وغير ذلك من البدع المدسوسة على الصوفية والتى لاتتفق مع الشرع الشريف .

٥ ــ يجب على الذاكر فى مجلس الذكر أن يكون نقى الجسم نظيف الثوب ويمنع منعا كلياً وجود النساء فى حلقات الذكر أو بالقرب منها .

ثانيا الموالد والمواكب العامة

١ ــ لا يحتفل بسير موكب صوفى دون إذن صريح من مشيخة الطرق الصوفية أو السادة وكلاء المشيخة العامة فى الجهات ويشترط عدم سير المواكب الصوفية إلا فى المناسبات الدينية أو الوطنية المصرح بها رسميا .

٢ ــ يتبع موكب كل طريقة شعارها الدال عليها من الشارات والأعلام ويمنع منعا كليا السير فى المواكب بهيئة منافية للاداب الشرعية كارتداء الأزياء الغريبة سواء على الرأس أو الجسد إلى غير ذلك .

٣ ــ الموالد والمواكب مقصورة على ذكر الله والصلاة على نبيه الكريم وقراءة الأحزاب والأوراد صحيحة واضحة على أتم حال من الكمال والوقار وكذا الوعظ والارشاد فلا يضرب خلال سير المواكب طبل ولا يقرع دف ولا ينفخ فى ناى

ولا يضرب جمع بسلاح ولا تستعمل الآلات الممنوعة ، وعلى الخلفاء والنقباء أن يراقبوا الموكب ويحافظوا على سيره بحيث يكون على أتم حال من الكمال والترتيب والنظام الشرعى .

٤ — إذا حصل خلاف على العقب فى أى موكب فتطبق القاعدة الصادر بها قرار المجلس الصوفى الأعلى المؤرخ ٥ أكتوبر سنة ١٩٤٢ وهى :

المتبع من قديم بين رجال الطرق فيما يختص بسير المواكب بالقرى والمدن « أن القديم على قدمه » بمعنى أن الطريقة التى أعقبت من قديم تستمر تعقب ما دام لها وجود فى القرية أو المدينة ـ أما إذا أريد تسيير موكب حديث يسير فيه رجال الطرق فى القرية أو المدينة التى لم يسبق أن بها مواكبا للطرق . فالطريقة التى تعقب هى أقدم طريقة حلت بالقرية أو المدينة ثم يليها التى حلت بعدها وهكذا — أما إذا أراد رجال طريقة من الطرق أن يحدثوا موكب فى مولد أو خلافه وساروا به فإذا ما أرادت طرق أخرى الاشتراك معها فى المسير فتكون الطريقة التى أحدثت الموكب هى صاحبة العقب .

هذا وإلا عرضت كل مسألة على حدة على هيئة المجلس الصوفى الموقر لاصدار قرار بشأنها .

الجزاء على مخالفة هذه القواعد

تقضى المادة الثانية والمادة الحادية عشر من الباب الخامس فى أمور عمومية من لائحة الطرق الصوفية أن يبعد من الطرق الصوفية كل من يخالف شيئا من هذه التعليمات ويجرى عليه ما تقتضيه تلك المخالفة من العقوبات المعروفة من التوقيف والطرد .

فى الأفق الصوفى

(١) قرر صاحب السماحة السيد شيخ مشايخ الطرق الصوفية تعيين السيد / على على عابدين الشريف الشهير بعزت الشريف وكيلا للمشيخة العامة بمركز وبندر طهطا .

(٢) شكلت المشيخة العامة لجنة لمراقبة الأوضاع الصوفية بالمولد الحسينى من السادة / السيد محمد محمد عاشور شيخ السادة البرهامية وعضو المجلس الصوفى والسيد / السيد عبد المقصود الجبالى والسيد عبد الجليل الزين والسيد أنور محمد الزهار والسيد /

السيد على عجوه وكلاء المشيخه العامة يعاونهم الشيخ سيدجاد الحق ، وقد قامت اللجنة بتأدية واجباتها على أتم وجه وأكمله وبذلت جهوداً صادقة فى منع البدع والمنكرات ومحاربة الدخلاء على الصوفية وأدعياء التصوف .

كما شكلت المشيخه العامة لجنتين لمراقبة الأوضاع الصوفية بالمولد الأحمدى الكبير بطنطا الأولى بساحة المولد وتتكون من السادة / السيد محمد محمود على بحبح شيخ السادة الصوفية الأحمدية وعضو المجلس الصوفى والسيد / السيد عبد المقصود الجبالى ، والسيد إبراهيم محمد إبراهيم والسيد عبد الجواد الرفاعى والسيد سعيد عبد الحليم كنعان والسيد مصطفى محمود عبد الغنى والسيد / السيد على عجوه وكلا المشيخة العامة واللجنة الثانية للاشراف بالمدينة مكونة من السيد أحمد كامل البهى وكيل المشيخة العامة وخليفة المقام الأحمدى رئيساً وعضوية أربعة من نواب الطرق الصوفية .

قد باشرت كل من اللجنتين مهمتها وبذلت جهوداً صادقة فى سبيل تطهير ساحة المولد والمدينة من الأمور التى تسىء إلى هذا المولد وقدسيته .

(٣) كما شكلت المشيخة العامة لجنة للاشراف على شئون المولد الدسوقى الكبير بدسوق مكونة من السيد عبد السعيد فتح الله محمد شتا وكيل المشيخة العامة بدسوق وعضوية أربعة من نواب الطرق الصوفية الذين يختارهم السيد الوكيل .

وقد أدت اللجنة مهمتها على الوجه الأكمل وتمت احتفالات هذا المولد الكبير فى نطاق التعاليم والمبادىء الصوفية الخالصة .

قرر المجلس الصوفى إبعاد عبد الله عبد العال بدوى الخليفة التابع لطريقه السادة الخنيمية الخلوتية بناحية تلا من الطرق الصوفية وذلك لخروجه على الآداب الصوفية .

كما قرر المجلس إيقاف الشيخ عبد العزيز على أبو الفضل الخليفة التابع للسادة الرفاعية لمخالفته للتعاليم الصوفية .

وكيل السادة الادارسة

. وافق المجلس الصوفى الأعلى على قرار السيد ميرغنى الادريسى شيخ الطريقة الادريسية بتعيين شقيقه السيد الحسن الشريف الادريسى وكيلا لمشيخة الطريقة الادريسية الشاذلية لسيدى أحمد بن ادريس فى الجمهورية العربية والسودان وسائر الأقطار الإسلامية .

مولد القطب الرفاعى

. وجه السيد محمود كامل يس شيخ الرفاعية الدعوة للاحتفال بمولد القطب الكبير السيد الرفاعى بمسجده بالقلعة الذى يبتدىء فى مساء يوم الجمعة ٢ ديسمبر سنة ١٩٦٠ لمدة أسبوع حيث يحتفل بالليلة الختامية وتسيير الموكب الصوفى السنوى فى مساء يوم الخميس ٨ ديسمبر .

مولد العارف بالله سلامه الراضى

. يحتفل السيد إبراهيم سلامه الراضى شيخ السادة الحامدية الشاذلية بمولد العارف بالله والده السيد سلامه الراضى وستقام الليلة الختامية فى مساء يوم الخميس ١٢ يناير ١٩٦١ .

مولد القطب البيومى

. احتفلت مشيخة السادة البيومية بمولد العارف بالله السيد على البيومى .

واحتفل بسير الموكب الختامى بمصر يوم الخميس ١٧ نوفمبر ١٩٦٠ برياسة السيد محمود فضل شيخ الطريقة .

. عاد من الأقصر إلى القاهرة الأستاذ السيد ميرغنى الادريسى شيخ الطريقة الادريسية بعد أن أصلح الله على يديه كبار عائلاتها .

خليفة المقام الأحمدى

. أقام الأستاذ أحمد كامل البهى خليفة المقام الأحمدى مأدبة غداء بمناسبة الاحتفال بمولد القطب السيد أحمد البدوى حضرها سماحة السيد محمد علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية وسيادة مدير الغربية واللواء يوسف القفاص حكمدار الغربية والأستاذ طه عبد الباقى سرور وكبار رجال المحافظة وصفوة كريمة من رجال التصوف والفكر .

المولد النبوى بأسوان

احتفل السيد عبد الكريم احمد محمد محمود شمت وكيل المشيخة العامة بالمولد النبوى الشريف احتفالا ضخما . فاقام لهذه المناسبة الكريمة سرادقا كبير بساحة المولد بمدينة أسوان ، كما أقام رجال الطرق الصوفية سرادقات اخرى لهذا الغرض .

وفى يوم الذكرى المباركة . انتظم الموكب الصوفى الكبير تتقدمه كتائب شباب الختمية بثيابهم البيضاء وصفوفهم المنتظمة يعقبهم رجال الطرق الصوفية . كل طريقه بأعلامها وشاراتها وطاف الموكب يحف به الجلال والوقار بانحاء مدينة أسوان حيث انتهى إلى حيث بدأ واستقبله السيد وكيل المديرية الذى كان قائما بأعمال السيد المدير ومعه كبار رجال الادارة والاتحاد القومى .

وفى المساء اقيمت مكبرات الصوت فى كل مكان حيث استمع الجميع للكلمة الجامعة التى اذاعها صاحب السماحة السيد شيخ المشايخ .

ثم انتقل الجميع إلى دار وكالة المشيخة حيث مدت موائد الطعام وقدمت الحلوى والمرطبات ، ثم إلى السرادقات حيث انتظمت حلقات الذكر والقيت دروس الوعظ والإرشاد وتليت القصة النبوية الشريفة واختتم الحفل فى ساعة متأخرة من الليل بالدعاء إلى الله أن يحفظ السيد الرئيس جمال عبد الناصر ويمده بروح من عنده .

فهرس العدد

٣	القرآن ووجوب العناية به	لسماحة السيد محمد علوان
٧	مكانة التصوف وأثره فى تطورات الحياة	للأستاذ طه عبد الباقى سرور
١٣	من مذهب ذى النون التصوفى	للدكتور محمد مصطفى حلمى
١٦	المشرب الصوفى لجمال الدين الأفغانى . . .	للدكتور صلاح الدين السلجوقى
١٩	المجتمع الاسلامى ومصادر تنظيمه	للأستاذ الشيخ محمد أبو زهره
٢٣	التربية الدينية الاسلامية	للدكتور محمد خلف الله أحمد
٢٧	من تفسيرات الصوفية للقرآن	تحرير المجلة
٢٨	هاروت وماروت والسحر	للدكتور محمد توفيق صدقى
٣١	من سيرة مولانا الحسين	للأستاذ حسن كامل الملطاوى
٣٧	قاموس التصوف	تحرير المجلة
٣٩	أسرار الحروف القرآنية	للامام السراج الطوسى
٤١	أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح	للأستاذ سعيد حمزة مكرم
٤٦	الغذاء الروحى	للأستاذ محمد عيد الشافعى
٤٩	المستشرقون والاسلام	للأستاذ عبدالموجود عبدالحافظ
٥٤	لماذا لا أعبد الله	للأستاذ محمود شلبى
٥٧	الحب الايجابى للأولياء	لسماحة السيد محمد علوان
٦٠	الدين والحياة	للأستاذ حامد الرفرى
٦٥	علم النفس والسعادة الإنسانية	للأستاذ حسنى طه شكيبان
٦٩	الحب الالهى فى التصوف الاسلامى	للأستاذ مكرم المحامى
٧٣	أخبار صوفية	تحرير المجلة